رباعيات التونسي

المجموعة الاولى





نظم

محمد خليفة التونسي

محمد خليفة التونسي

اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
فـــي 06 / محرم / 1446 هـ
المـــوافـــق 12 / 07 / 2024 م

سرمد حاتم شكر السامرائـــي

م. سرمد حاتم شكر

رباعيات التونسي

المجموعة الاولى

الطبعة الأولى
١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م

الناشر مؤسسة الخانجى
القاهرة

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي Telegram: https://t.me/Tihama_books

الإهـــداء

ولدى وصديقى الدكتور حكم توفيق أبى زهرة

سلام عليك فى الأوفياء المخلصين ، وأحمد الله إليك داعيا أن يحقق لك الحكم والتوفيق والازدهار فى كل مساعيك الصالحة ، حتى تنال ما أنت أهله من الخير ، وتبذل لشتى الناس ما انطوى عليه قلبك من البر ، بفضل حظك من الكفاية ، وهمتك فى الجهاد .

تذكر مثلى أننا التقينا لأول مره قبل ثلاث عشرة سنة ، فى مدرسة «مصر الجديدة» الثانوية بالقاهرة وأنت يومئذ تلميذ بها فى أوليات شبابك ، وأنا مدرس بها فى أخريات شبابى ، وخلال تعليمى لك علوم لغتنا وآدابها استطاعت نجابتك ووداعتك وسماحة محياك أن تلفت نظرى وقلبى إليك ، كما تكفلت كفايتى ونصحى فى عملى وحبى لطلابى أن تلفت نظرك وقلبك إلى ، وزادنى عندك تقديرا ومودة ما كنت تطالع من آثار قلمى ، بل هيأ ذلك لك - قبل التعارف - ما طالعته منها وأنت فى وطنك الأردن ، ولاسيما ترجمتى ومقدمتى المطولة لكتاب «الخطر اليهودى : أبروتوكولات حكماء صهيون» ، وهو - كما تعلم - كتاب يتصل بمواطنيك من أهل فلسطين أشد مما يتصل بغيرهم حتى بين العرب ، لأنهم امتحنوا من هذا الخطر أخيرا بما لم يمتحن أحد بمثله : من قتل ونهب ونفى ، كما زادك عندى تقديرا ومودة اشتراكنا فى حب المطالعة ، وسعة معارفك ، وجودة فهمك لما تقرأ وتسمع وتشاهد ، وتنوع هواياتك من كتابة ورسم وخط .

وزادتنا الأيام مودة وتقاربا وائتلافا حتى بعد دخولك كلية طب القاهرة إلى أن تخرجت فيها ، فخلال هذه السنوات كشفت عندك كما كشفت عندى كثيرا من الشمائل التى تمكن الأسباب بين عشاق الخير من الرجال ، وخلال هذه الفترة ترددت على بيتى وتعرفت بأسرتى ، كما ترددت على مثواك ووقفتنى على كثير من أخبار أسرتك ، وتعمقت فى قلبى وحياتى كما تعمقت فى قلبك وحياتك ، وكاشفتنى واستشرتنى فى أخص دخائلك ، وكاشفتك بما يمكن أن تحتمله من دخائلى ، فتكشف لى أنك أهل للتربية والوفاء فى قيادة الجماعات ، وأداء كبار الأعمال فى خدمة الآخرين بالحق . ولقد رأيت فى شمائلك وهمومك ونزعاتك وأعمالك شابا «أسريا» ذا شعور أصيل مكين بقداسة «الأسرة» وتبعاتها ، كما تبينت فى تكوينك النفسى والبدنى « صديقاً » ناشئا مؤهلا

لكثير مما يرجى له الصديقون من الأبرار ، وكل أولئك وثق من قدرك عندى حتى خلطتك بنفسى وأسرتى ، وخلطتنى بنفسك ثم بأسرتك فيما بعد ، حين أتيح لهم زيارتك فى القاهرة ، فكنت تعاملنا كما لوكنت لنا ولداً ونحن أبوان وإخوة، وتجد عندنا مايقابل هذا من أبوة وأمومة وأخوة .

وتخرجتَ فى كليتك فسجلت غبطتى بنجاحك هذا فى قصيدة مطولة سميناها مازحين « المعلقة الحكمية » ولم أنظم مثلها فى أحد من البشر : حتى أصدقائى وتلاميذى بل أسرتى ، وفيها باركت مسعاك، وسجلت رأيى فيك، ونصحتك لمستقبلك ، وكشفت لك مابدالى أنى أراه منه ، وقد كنتَ ولم تزل تعتز بهذه « المعلقة » وساما وذكرى كأغلى ماغنمت من القاهرة لنفسك، وعدت به إلى وطنك ، حيث صرت فى « القدس » طبيبا مخلصا كفئا ، وتعين لك منصب تسدى فيه الخير فتحب، وتعين على النوائب ببراعة طبك وحلاوة لسانك فتحمد ، وصار لك راتب وفير يعينك على النهوض بأعبائك وحقوق الناس عليك فيما تفرضه عليك نفسك الرءوم .

وكان قد أعجبنى فيك وأنت فى القاهرة ثقتك بنفسك وإيمانك بالقيم الإنسانية، وانشغالك بهموم أسرتك ووطنك فى فطنة وتفاؤل ، واحتمالك - فى عزم وصبر - فراق أهلك فى الأردن طلباً للعلم فى القاهرة. وأنت فى الحداثة الغضة ، مما نشفق نحن المصريين من أمثاله على حداثاتنا بل كبارنا أحياناً ، وكل هذا — منى ومنك — قد زاد من ثقتى فيك واحترامى لك وحنوى عليك فلما عدت إلى وطنك واجتمعت بأسرتك ، ووفقت فى عملك بكرامة — حل الاطمئنان والتفاؤل فى نفسى محل الاشفاق والقلق عليك ، وحق لمثلى هذا الإشفاق على حالك قبلئذ يوم كنت حدثاً تجاهد فى القاهرة من أجل مستقبلك، وأنت وحيد منقطع عن أهلك ومنشئك ، فإذا كنتم تستسهلون الرحلة أو الهجرة لأنكم من قديم فى موطن تجارة ورعى أحياناً ، وزراعة شاقة أحياناً - فنحن نشفق من الرحلة والهجرة ، إذ نحن مطبوعون بقوة وعمق على الشعور « البيتى » أو « الأسرىّ الأصيل » وقد أملاه علينا مقامنا اللاصق بضفتى النيل، فى واديه الخصب الجميل، خلال تاريخه الحضارى الأصيل الطويل ، فنشأنا على حب « البيت » ، « والأسرة » فيه جيلا بعد جيل ، وسليلا فى إثر سليل ، ومازال كرم النيل وضفتيه يمسكنا بهما ، ويجذبنا إليهما ، كما فعل ذلك بأسلافنا الصالحين من الأصلاء والنازلين ، ثم مازال كرمه يملى لنا كما يملى علينا هذا الشعور القوى العميق، ثم يقويه ويغليه ، وقد رأيتَ بعض آثار هذا الشعور: سواء فى « بيتى » أو غيره

من « البيوت » التي خالطتها وخالطتك عندنا ، وسترى — كما رأيت قبل — بعض آثاره في مواضع شتى من هذه الرباعيات وغيرها ، وان جماتها — من وجه — لتبدو « صورة خاصة » من « بيت خاص » غير أنها من وجه أشمل تبدو صورة واسعة تحيط بشملتها الكون كله ، فالوجدان « البيتي الأسرى » هنا — وقد خبرته في « البيت » الأصغر الأخص — قد اشتد واستد ، ثم اعتد وامتد ، حتى شمل بولائه ومودته وبره الكون كله ، فالكون هو « البيت » الأكبر الأعم ، « والكائنات » أو « العالمون » جميعاً هم « الأسرة » الكبرى وكلهم عيال الله في رعاية « أبوته » الشاملة، وليس كمثله شيء ، وهو الرءوف الرحيم .

وأنت تذكر قصتك مع هذه الرباعيات منذ كنت في المرحلة الثانوية ثم فيما بعدها فقد اطلعت على بعضها خلال جلسة « بيتية » وكان اطلاعك انفاقاً، لندرة حديثي في أي المجالس بشيء من آثاري، ثم استزدتني من الاطلاع عليها في جلسات أخرى، فأنست بها ، وتوسمت فيها تعبيراً عن كثير من مواجد ، نفسك ونوازع همتك، وأطياف حياتك، وقد سألتني يوماً عما يمنعني طبعها، فأومأت إليك بما أحرص على ستره من قلة ذات اليد ، والأنفة من التردد بشعري على الناشرين، مع انحصار شهرتي بالشعر وأن النشر عندهم ليس رسالة بل تجارة ، ولكن ينقصها من جانبهم العدل دائماً ، والتجمل أحياناً كثيرة ، فأبت لك مودتك ومروءتك وحماسة شبابك إلا أن تتمنى يوماً تملك فيه وفراً ، فتطبعها على نفقتك ، فابتسمت لك شاكراً مقدراً ، وما كان لك ولا لي أن نتمسك بهذه الأمنية، لأنها ما كانت تلزمك بأي ذمة ، ولكنك بقيت مصراً عليها كأنها عهد لا فكاك منه، حتى إذا صرت طبيباً ذا راتب وافر ، وجمعتَ من وفرك ما يكفي للوفاء - جئتني في أول زيارتك للقاهرة بعدئذ ، لتحمل لي بشرى تحقق أمنيتك في طبع الرباعيات، لتزيد من غبطتي وثقتي بك ، وكنت أنا قد سهوتُ عن ذلك، إذ لم يكن يلزمك بحال ، ولم يكن لي قبول المال ولو قرضا ، فاعتذرت لك ، وأخبرتك أن الرباعيات وغيرها ستطبع مع توفيق الله ولو بعدي ، وقد ألححتَ في العرض الكريم كما ألححت في التمنع الأبي ، فغلبتني بالكرم مستعدا، وغلبتك بالإباء شاكرا ، فالأب الحر يعطي ولا يأخذ ، وهو يأنف أن تكون يده هي الدنيا بعد إذ كانت العليا ، وغبطته أن يرى أولاده مغتبطين هانئين بما يستغنون وبما يحصلون ، دون أن يرزأهم ولو ثمن لقمة يدفع بها عن نفسه الموت جوعا ، فكيف بما هو فوق هذه الضرورة في أفق رفيع .

ولقد تقلبت بى الايام بعدك بين بغداد والقاهرة ، طلبا للرحلة والاطلاع ودواع أخرى ، وجربت فى بغداد الحياة المنفردة ، فازدت علما وشكراً لفضل «الاسرة» ، وإن فى الأصدقاء ذوى الفضل هناك لغناء لو كان يغنى الأصدقاء عن الأسرة. ومن تمام أى نعمة أن نعرفها ونحن فيها لنزداد غبطة بها، ونجدد ذلك بذكرها بعد فواتها، فلا يكون كل أثرها الحسرة والندم على ما فرطنا فيها ، وفضل الله على فى ذلك كثير ، وأرجو أن يكون هذا حظك دائما . وكذلك طمحت بك همتك ، فطوحتَ بنفسك إلى أسكتلندا حيث تعيش اليوم حتى نلت الدكتورية ونلت معها ما هو أحب وأعظم : زوجة من القوم اشترك فى اختيارها عقلك وقلبك ، وباركت أنا اختيارك بما عرفته من رسائلك ، فكان على فيه بعض المسئولية ، وحقيق بك أن تُسعدَ وتسعد بأسرة أنت نصفها ، ولا تمام لك ولحياتك إلا بنصفها أو نصفك الآخر. وحقيق بمثلك أن يتعزى بما هنا عما هناك ، وينعم بما هنا وهناك . ولاسيما إذ تحتفل الليلة بعيد ميلادك ، وأحتفل به هنا ، وحدى ، وفى كل يوم للحكيم ميلاد جديد .

وكنا حين نتباعد نتبادل الرسائل ، وكثيرا ما أثار تراخيها الإشفاق والقلق ، وإن لم يشكك فى ود ، أو يعقبه عتاب ولو فى الضمير ، وقد يكون مثل ذلك فيما بعد أو لا يكون ، وقد نلتقى أو لا نلتقى ، فلتكن هذه المجموعة من الرباعيات هى رسائلى المتجددة إليك ، والملتقى معك .

وقد جرت عادة كثير من المؤلفين فيما يهدون من تواليفهم أن يكون الإهداء أشبه بالرمز « إلى فلان» مع جملة أو جمل وجيزة أو بغيرها ، وهذا المنهج قد يكفى الطرفين ، ولكنه لا يشفى القارىء ، إذ لا يكشف له سبب الإهداء ، ولا ما بين الطرفين من أسباب الولاء : وأما منهجى فهو ما رأيت وترى ؛ لأننا نكتب للقراء الأصدقاء ولو كان الظاهر أننا نعنى واحدا ، وأنا أوثر الرسالة فى الإهداء لأن الرسائل من أحب ضروب الأدب قديما وحديثا .

لكل هذه المعانى ، ولفضلك على الرباعيات ـ أهدى إليك هذه المجموعة ، وإن مجرد إهدائها إليك ليتضمن إهداءها لزوجك ثم لأودائك وأودائى من الأصدقاء القراء ، أو القراء الأصدقاء ، ولو لم يكن بيننا مواجهة فى لقاء ، فلتعش والأوداء فى سلام منبعه الحب ونزعة الإحسان لكل العالمين .

بغداد ١٩٦٦/١/٢١ والدك وصديقك : محمد خليفة التونسى

مقدمة

قصة الرباعيات

١ — رباعياتى : اجتمع عندى من الرباعيات (المنفصلة) نحو ألف وخمسمائة : كل رباعية منها « وحدة » قائمة بنفسها مستقلة بمضامينها عن سواها ، وقد تهيأ نظم هذه الرباعيات خلال ثلاثين سنة أو نحوها .

هذا العدد من الرباعيات المنفصلة لم يكن ليتهيأ نظمه لشاعر واحد خلال هذه السنين — مع طولها — إلا أن يكون النظم فى هذا القالب أمرا مقصودا مرصودا ، وأن يتكرر توجه الذهن إليه عن عمد ، وترويضه عليه مرات ، حتى يصير عند الذهن كالعادة الراسخة . فكلما تجدد بعد ذلك خاطر مناسب للرباعية يستحق النظم — انصرف الذهن إلى ما اعتاده من ذلك قاصدا أو غير قاصد ، ليلبى دعاء هذا الخاطر الجديد بما هو أهله ، ولا يزال يتدبره ويقلبه ويستجليه حتى يهيئه فى هذا القالب المألوف لديه ، المحبب إليه .

وهكذا كان الأمر معى حينما اتجهت إلى قالب الرباعية ، لأنظم فيه بعض خواطرى القصيرة المناسبة له ، ولم يزل الأمر كذلك معى كلما ورد على ذهنى خاطر يناسبه « الرَّبْع » أو « التربيع » أى يُجعلُ رباعية .

أما نوع هذا الخاطر القصير المناسب للربْع أو للتربيع فسأبينه بعد قليل .

٢ — المجموعة الأولى : وأما هذه المجموعة الأولى التى أقدمها هنا فقد استخرجتها من جملة الجزازات التى أسجل فيها رباعياتى مرتبة بحسب قوافيها : كل رباعية فى جزازة ، ولم أحاول خلال استخراجها إلا أن تكون ممثلة تمثيلا وافيا لجملة الرباعيات من كل جانب ، فهى تمثلها من حيث مادتها ونوعها وموضوعاتها وزمان نظمها ، ورأيى أنها وافية فى هذه الجوانب ، وإن لم تكن أفضل الرباعيات ، ولا هى — بالضرورة — أدناها أيضا .

بل إنها وافية فى تمثيل قدرتى على نظم الشعر فى شتى أطوار عمرى التى عالجت فيها النظم ، وأبقيت على ما نظمته خلالها من فجر الشباب الصادق حتى أصيل الشيخوخة الفتية بحمد الله، فنها ما نظمته وأنا دون العشرين، ومنها ما نظمته وأنا فى نحو الخمسين ، فبين بعضها وبعض فى أوقات النظم لحظة قد لا تجاوز بضع دقائق ، أو فترة تمتد حتى تبلغ ثلاثين سنة .

وقلما رباعية إلا أذكر — على التقريب — زمان نظمها ومكانه ومناسبته، وكثير من الرباعيات فى جزازات أصلها عندى تحمل تواريخها ، أو تواريخ الفراغ منها ، وإن كان الشروع فى نظم الرباعية الواحدة منها أحيانا قد يسبق تاريخ الفراغ منها بفترة قصيرة أو طويلة ، وهذه الفترة بين البدء والختام قد تبلغ بضعة أيام ، وربما تمتد بضعة أعوام ، والمعول فى ذلك على طواعيتها للنظم كما أحب ، ومثول أشباحها فى الذاكرة أو سهوها عنها .

وقد يكون ذلك موضع غرابة وعجب عند من لم يجربوا علاج الأعمال الفنية وترويض أوابدها الجامحة حتى تستسلم وتلين ، ثم التوفيق بين مضامينها وأشكالها كى تنتظم وتتلاحم فى « وحدة » متكاملة ، يقوم بعضها ببعض كالبنية الحية . وقد يبدو الأمر أغرب وأعجب حين يقـــال ذلك فى صغار الأعمال الفنية كالرباعيات أو نحوها من المقطوعات فى الشعر، ولكن الفنان المجرب يعلم أن كثيرا من صغار الأعمال قد تضنيه أكثر مما تضنيه كبارُها إذا كان ممتلىء الوعى بكرامة نفسه وكرامة فنه وكرامة عقله ، ثم كرامة عقول الآخرين من ذوى الرأى والبصيرة فى مثل أعماله .

لابد فى إتمام أى عمل فنى أصيل من « حضور » وارداته ، وهذه الواردات مثل « الجنّ » فى طبيعتها وحركتها مقبلة ومدبرة ، فهى حين نتمكن منها أرسخ وأصلب وأقوى وأوضح من الجبال، ولكنها قبل ذلك كائنات أثيرية مبهمة مفرطة الغموض ، سريعة التفلت والتقلب ، شديدة التمرد والعناد ، تقبل فجأة ، وتدبر فجأة ، وقد تقبل فتوسوس فى نفوسنا وتدغدغها طويلا أو قصيرا ، ثم تغيب قبل التقاط صورتها أو بعده ، وقد تحط على صدورنا حتى تكظم أنفاسنا بثقل وطأتها كأنها الصخور الثقال فى اليقظة، أو الكوابيس فى الأحلام ، وتصيب النفس والجسم معا بالوهن والإعياء والتمزق ، فلا نتمكن من تصويرها فى هذه الحالة حتى يخف

وقرُها ، وتبعد عنا كثيرا ، فنصور أشباحها أو أطيافها فى الذاكرة ، ولكن الصورة الموفقة — فى كل حال — تدل على أصلها دلالة وافية .

وما من عمل خير أو شر إلاو النجاح فيه منوط بالكفاءة لهوالجهاد فىسبيله، وكل من كان كفئاً لعمل ثم اجتهد له بما يناسبه من الوسائل فلابد أن ينال حظه من النجاح فيه على قدر كفاءته وبلائه والظروف المحيطة به .

وهذه الواردات الفنية سواء هجمت من داخلنا أو خارجنا ، وعن قرب أو بعد — لابد لنا فى تصيدها من كثرة التجارب ، ثم طول الخبرة فى ترويضها وتذليها ، ثم تنظيمها وتوحيدها ، وكل ذلك مما يفتح جوانب الحيلة والقدرة عند الكفء المستعد لهذه الرياضة ، المكافح فى سبيلها ، حتى تتم له «الملكة» فىذلك، ولا تمام لها إلا بكثرة التجارب مباشرة ، وطول الخبرة مباشرة ، فإذا تمت « الملكة » صار عملها رياضة يسيرة محببة .

ولكن كل ذلك لا يكفى لضمان « استحضار » الواردات المطلوبة عند المشيئة أو على حسبها، لأن عملية «استحضار»هذه الواردات المطلوبة ثم تهيئتها فى القوالب المناسبة لها - أشبه بعملية « استحضار الجن » عند من يدعون القدرةعلىإحضارها وتسخيرها فى حلال أو حرام .

إن الساحر من أجل أداء عمل طاهر أو نجس يحاول إحضار الجنى المنوط به مثل هذا العمل، ليسخره فى أدائه ، ومن أجل ذلك قد يطيل العزلة، ويسرف فى التطهر والتنسك ، أو فى الخبث والنجاسة - على حسب نوع العمل وحظه من المعروف أوالمنكر- وقد يشتد فى قراءة أقوى عزائمهالمناسبة، ويحرق كل بخوره، ويغلو فى الإغراء والوعيد ، ثم يذهب كل جهاده عبثا ، فقد لا يحضر الجنى ، أو يحضر ولكنه يتمرد، وقد يمتد أذاه إلى الساحر دون أن يغنى شيئا فيما أراده منه، وقد يطلب الساحر جنيا معينا أو من نوع معين مناسب لمطلوبه ، فيفاجأ بجنىّ غيره ، أو من نوع آخر . وقد لا يكاد يشرع فى « التهيؤ » له حتى يوافيه ويقوم بكل ما يريده منه ، أو بأكثر من ذلك .

وموقف الفنان من وارداته كموقف هذا الساحر من جنّه فى كل حالة من الحالات السابقة ونحوها ، غير أن الفنان — مع الدربة الطويلة والجد الموفق

فيها — أسعد حظاً من ذلك فى أحيان كثيرة ، إذ أن الدربة تسهل عليه عندئذ أن «يستحضر» مايريد من الوردات الفنية ، وأن يهيئها وفق المشيئة ، ونقول «فى أحيان كثيرة» ولا نقول «غالباً» أو «دائماً» لأن كثيراً من كبار الفنانين قد يعجزون عن أداء أصغر عمل فنى يرضيهم إذا كلفوه أو تكلفوه ،دون أن تكون نفوسهم مهيأة له ، ولا «استحضار» بلا «تهيؤ» مقصود أو غير مقصود ، وفى ذلك يتساوى الشعراء مع سائر الفنانين ، ومن الشهادات الصادقة على ذلك شهادة شاعر ضخم — أظنه الفرزدق — إذ يقول مامؤداه «يعدو نى شاعر مضر ، وربَّ وقت يأتى على ، وخلع ضرس أهون على فيه من نظم بيت» وكثير من الشعراء حتى المتمكنين يقرون بصحة ذلك ، لأنهم جربوه وأيقنوا بأنفسهم منه .

وقد عرفت كثيرا من الشعراء فيمن صاحبتهم ، أو وقفت على أخبارهم سماعا أو قراءة — يسهل عليهم نظم الشعر حين يريدونه ، بل سمعت أخبار بعض من يرتجلون القصائد حتى الطوال ، ولكنى ألاحظ التفاهة والركاكة على معظم شعرهم حتى ما ليس منه بمرتجل ، كما أنى لست على ثقة قاطعة بما يدعى لهم من الارتجال وآثاره .

وكذلك عرفت — عن طريق الصحبة والسماع والقراءة — أخبار كثير ممن يسلس لهم الشعر أحيانا ويصعب أحيانا كما وضحت آنفا ، وأقر هنا — وأنا فى كامل وعيى وأصفاه ودون حاجة إلى توكيد من قسم أو نحوه — أنى من النوع الأخير ، فقد تتعسر عندى الرباعية أو دونها ، فأتركها ثم أعود إليها مرة أو مرات بعد فترة أو فترات طوال حتى تسلس ، وقد تتسهل قصيدة طويلة فأنظمها فى ساعة أو ساعات ، وقد أشرع فيها خلال الطريق فأتمها قبل أن أبلغ غايتى . ومن تجاربى فى التسهيل مرثيتى لشيخى العظيم عباس العقاد — رحمه الله — وهى تبلغ أربعين وأربعمائة بيت ، فقد تم لى نظمها فيما دون ثلاثة أسابيع وأنا مشغول الوقت بتجهيزه ثم نقل جثمانه الطيب من القاهرة لدفنه فى أسوان ثم العودة إلى القاهرة ، ثم حضور مأتمه أو مآتمه هنا وهناك ، واستقبال العزاء فيه ، وتدبير آثار وفاته برفق وعلاج طويل ، ثم كنت مشغول القلب فى ثكله بما هو أفظع وأهول مما لم أجرب مثله فى ثُكل شقيقى أو أمى أو أبى أو ابنى ، وأعرف أنى حزنت على كل منهم أشد مما حزنت عليه ، وكنت إخال وفاة كل منهم فى وقتها قاصمة الظهر وفساد العمر ، ولكن وفاة

شيخى أحرقت من قلبي ثم زعزعت من يقيني ما لم أجد مثله فى وفيات أرحامى رحمهم الله ، فقد وجدت عقب وفاته هول القيامة، وثقل على وجدانى كله عبث الحياة. وقد عدت إلى هذه المطولة بالتنقيح بعد ذلك ، غير أنى كنت أحس كأن القلم — خلال تسجيل بعض فقراتها — كان ينطلق فى سهولة تقارب سهولة انطلاقه فى كتابة المقالة .

ومن هنا نعرف أن سهولة الشعر أو صعوبته لا تقاس بطول المنظومة أو قصرها، فرب رباعية لم يتيسر لى إتمامها فى أضعاف الوقت التى تمت لى فيه هذه المرثية المطولة ، مع أن أبيات المرثية عشرة أضعاف ومائة ضعف من أبيات الرباعية .

٣ — **الالتفات المقصود إلى الرباعية** : ولكن متى وكيف التفت إلى الرباعية ؟ وكيف تعلقتها ؟

أذكر — على التقريب — أنى تنبهت إلى ذلك اتفاقا فى الفترة التى نشرت فيها أول دواوينى الشعرية ، وهو « الجزء الأول من ديوانى « العواصف » سنة ١٩٣٥ ، وإن كنت أعلم يقينا أنى كنت — خلال السنوات السابقة لذلك — قد نظمت كثيرا من المقطوعات القصار : بعضها رباعيات وبعضها أطول أو أقصر ، وفى الجزء الأول من «العواصف » أمثلة من ذلك

منذ تلك الفترة تنبهت إلى قالب الرباعية ، وانفراده بين المقطوعات الشعرية بالظهور والاستقلال والتواتر ، سواء فى الشعر الفارسى ، أو الشعر العربى ولا سيما المعاصر ، أو فى نسق كثير من القصائد الطوال والقصار فى الشعر الإنجليزى وما يترجم إلى الإنجليزية مع اختلاف التقفية فيه، واستوقفنى هذا القالب وأجتذبنى إليه، وصرت أطلب مقطوعاته وأدرسها فاحصا كما يدرس كل صانع أصول صناعته عند شركائه فيها كالنساج والخياط والنجار والحداد وغيرهم، لا كما يراها باعتها ومشتروها ومستعملوها فى شئونهم اليومية ، وحاولت أن أجرب هذا القالب فى نظم بعض خواطرى القصيرة المناسبة له ، إلى أن ألفتُ النظم فيه ، وصرت أزداد تعلقا به مع اعتياده ، ومع ما بدا لى من نجاح فيه تجربة بعد تجربة ، وأكثر ذلك — كما لاحظت — إنما كان عند نظم الخواطر من قبيل التأملات ، أو ما يبدو أنه كذلك وإن لم يكن تأملا محضا ، وسأبين ذلك بعد قليل ، حين أوضح لمعا من مذهبى فى الشعر ، وبعض ملاحظاتى على هذه المجموعة من الرباعيات، وما يسمى شعر التأمل بالحق أو بالباطل .

وأشير إلى أني استعملت الرباعيات المتصلة فى نظم بعض الموضوعات الطويلة ، ومن ذلك قصتى « الأنوار المحمدية : حول لواء النبى » وموضوعها السيرة النبوية ، وهى تزيد على ثلاثة آلاف بيت من وزن واحد هو « الخفيف » ولكل أربعة أبيات قافية ، وتتغير القافية فى الأربعة الأبيات التالية ، وهكذا

٤ — الخاطر المناسب للرباعية : كل الأساليب الفنية ومنها الأسلوب الأدبى تتوخى الاجمال فيما تعرضه، لتترك التفصيل لخيال من يطالعها ، ولفكره وثقافته وخبرته بالحياة والفن ، وكلما مال الفنان إلى التفصيلات أو الإكثار منها فيما يعرضه — كان ذلك دليل ضعفه فى صناعته، وجهله بأهم أصولها ، ويظهر ذلك مثلا من ملاحظتنا لرسام ناشىء بادىء وآخر ناضج متمكن، حين يرسمان منظرا واحدا، فالأول أميل إلى الآلية ، لكثرة مايعرض من التفصيلات التى تزاحم أهم جوانب الموضوع، وتزيح النظر عنها ، والثانى أميل إلى عرض الجوانب المهمة فيبرزها ، لأنه بحكم خبرته ومعرفته يرى أن الفن تمثيل للموضوع وليس نقلا حرفيا له ، والتمثيل يعتمد على الاختيار ثم معاودته ، حتى يصفو المثال من كل فضول ، والاختيار يقتضى التمييز بين المهم وما ليس مهما، فيؤخذ الأول ويترك الثانى ، ثم معاودة الاختيار تقتضى التمييز بين الأهم والمهم ، أو تمييز الأهم من المهم ، فيؤخذ الأول ويكتفى من الثانى بما لا يتم المثال المعروض إلا به

والأسلوب الشعرى أحوج الأساليب الأدبية إلى هذا الاجمال والتركيز على الأهم ، فهو يعتمد على الرمز أو مايشبهه ، إذ يختار العبارة الرشيقة الخفيفة ليمثل بها موضوعه ، فتكون الألفاظ أشبه « بالشفرة » : من عرف سرها عرف كيف يفك لغز الألفاظ أو العبارة المغلقة ، فيفهمها ويتصورها ، ولسنا نقصد باستغلاق الألفاظ هنا غموض كل لفظ من الناحية المعجمية أو الإعرابية ، بل غموض العبارة كلها أو الألفاظ جملة واحدة مع ما بينها من صلات . لأن العبارة اللغوية ليست مجموعة متناثرة من الألفاظ ، بل نظام أو نسق يقتضى وضع كل لفظ فى مكان معين ، ليؤدى وظيفته فى الكشف عن معناه وفى التعاون مع بقية الكلمات لتكشفه ويكشفها ، ويؤدى معها مهمته ومهمتها ، ولا يتغير موضع لفظ غالبا فى نسق العبارة حتى يتغير معناها وإن لم يتغير معناه، وقد يختلف المعنيان فى العبارتين —

والفاظهما واحدة — اختلافا كبيرا أو صغيرا ، وقد يفرط حتى يصل إلى حد التضاد، ومن الأمثلة البسيطة على هذا النوع من الاختلاف — ما بين هاتين العبارتين: « سعيد فوق الكرسي » و « الكرسي فوق سعيد » وتختلف عنهما العبارة « فوق الكرسي سعيد » أو « فوق سعيد الكرسي »

والإجمال والتركيز ألزم ما يكون في المقطوعات المحدودة بقالب معين كالرباعيات ، حتى لا يزيد عدد الأبيات على المطلوب ولا ينقص عنه ويناسب الرباعيات كل خاطر قصير يمكن ضغطه بالإجمال والتركيز حتى يملأ هذا القالب بلا زيادة ولا نقص ، وقد يقتضي ذلك التضحية ببعض المعاني المهمة دون إخلال ببنية العبارة أو مضمونها العام ، فتدل العبارة الوجيزة على ماظهر وما بطن من المضمون العام ، وقد يكون الإيجاز إيجاز قصر أو إيجاز حذف كما هو معروف من علم المعاني وعلم المنطق معاً، ومن كل تفكير وتخيل وتذوق صحيح. وربما تقتضي المحافظة على عدد الأبيات إبراز بعض الأجزاء المهمة إذا كانت نتيجة التركيز أن تقل العبارة عن أربعة أبيات، وضروب الإطناب كثيرة يعرف بعضها أيضاً من علم المعاني وعلم المنطق معاً، ومن صحة الوعي بما للفنان من ملكات أو قدرات، ولكن ينبغي أن لا تزدحم العبارة بأي تفصيلات يمكن أن تغطي على المعاني الكبرى أو تزاحمها حتى تمنع نظرنا إليها بالقدر اللازم . ولهذا يمكن أن ننظم في أربعة أبيات ما يمكن نظمه في ثلاثة أو خمسة أو سبعة مع التجاوز ، ولكن لابد من اختلاف بين كل عبارة وأختها .

وقد نظمت أنا بعض الخواطر في رباعيات ثم أتممتها فصارت قصائد ، والرباعية — كشأنها دائما — انما هي « وحدة » مستقلة كاملة ، ولكنها في هذه الحالة يمكن أن تدخل في عمل أكبر فتتممه وتتم به ، ومثلها هنا كمثل العازف منفردا والعازف نفسه بين جماعة مثله من العازفين ، وإن كان اللحن الذي يعزفه هو اللحن نفسه في الحالتين .

وقد أسلفت أن نظم رباعية قد يكون أصعب من نظم قصيدة ، ومن الخواطر القصار ما يكفي فيه عدد أقل من الأبيات ، وخاطر آخر لابد له من عدد أكثر ، وقد يصلح شاعر للمقطوعة ولا يصلح للقصيدة ، ويصلح غيره للثانية دون الأولى ، ويصلح غيرهما للنوعين ، ولكن ذلك لا يدل على فضل أكبر هنا أو هناك . لأن

المهم هنا هو مقدار الطاقة الشعورية ونوعها من وراء العمل القصير أو الطويل، والكثير أو القليل، كما يكون صنع إبرة فى صب الحديد أصعب أو أسهل من صنع عمود، وكما تكون كتابة أقصوصة أصعب أو أسهل من كتابة رواية. وكذلك يقال فيما بين المقالة والكتاب، وما بين الكلمة الجامعة والمقالة. ولكن لابد فى كل عمل فنى أو أدبى أن يكون فى ذاته « وحدة » مستقلة متكاملة كما تكون كل بنية حية، وإن كانت الأواصر بين أجزائه والتعاون بينها فى أداء وظيفة « الكل » لاتبدو لكل عين، وبخاصة عند النظرة الأولى أو العابرة، فإن الأعمال الفنية والأدبية صعبة الإدراك غالباً، وربما كان أصعبها إدراكا أشدها إجمالا وتركيزا. ورب أقصوصة تحمل رواية، ورباعية تطوى قصيدة ... كما تطوى النواة الشجرة.

وأشير إلى أن قلة من الرباعيات هنا بدأت كل منها رباعية ثم تتابعت الخواطر بعدها عما يتصل بها فصارت الرباعية قصيدة، وكل من هذه وهذه « وحدة »، وقد أبقيت على بعض هذه الرباعيات وأضفتها إلى نظائرها فى ديوان الرباعيات كما أضفت القصيدة إلى ديوان القصائد.

٥ — **هل الرباعيات تأملات؟** : فى التأمل ينظر المرء فى نفسه ليرى مايخالجها، وشعر التأمل مصدره هذه الخوالج أو هذه الواردات من داخل النفس، لا الواردات من خارجها: وهـــذا تفصيل مقبول لو سلمنا بأن للنفس داخلا وخارجا، وأن الإنسان يدرك ما فى داخل نفسه وما فى خارجها، وأن هناك - قبل ذلك - وجوداً داخلياً ووجوداً خارجياً، وكل ذلك محل خلاف بين الفلاسفة المثاليين والفلاسفة الواقعيين، كما أنهما يختلفان للسبب نفسه فى حقيقة الزمان وحقيقة المكان.

ونترك كل ذلك لنقول إن الفن كله تأمل، والشعر على اختلاف أنواعه تأمل، فالفنان لا يعبر إلا عما فى نفسه، بل لو سلمنا بأن هناك عالماً خارج النفس يمكن إدراكه كما تدرك عالمها الخاص - لما تغير الحكم، لأن الفنان بل الإنسان كله لايدرك من الأشياء إلا انطباعاتها فى نفسه، ومهمة الفنان أن يمثل هذه الانطباعات كما يدركها، وهذا ما يعبر عنه الشاعر فى شعره: سواء تحدث بما يخص ذاته ووقائع حياته، أو تحدث بما عند الآخرين، وفى هذا تتفق أنواع الشعر من غنائى وقصصى ومسرحى وتعليمى، فالشاعر الغنائى لايحدث إلا بهمومه ووقائع حياته الشخصية الخاصة، وبقية الشعراء - قصصيين ومسرحيين وتعليميين - إنما يتحدثون بما عند الآخرين،

ولكن حتى هؤلاء فى حديثهم بما عند غيرهم إنما ينقلون من ذلك ما انطبع فى نفوسهم عن الآخرين ، ولا شأن لهم بما عدا هذه الانطباعات ، فالشعر كله ذاتى أو تأملى، وإن كان المتحدث به أو المعبر عنه مختلفا فى علاقته بالفنان، فقد يكون متعلقاً بشخصه، أو متعلقاً بشخوص الآخرين؛ فإذ كان متعلقاً بشخص الشاعر فهو غنائى وإذا كان متعلقاً بسواه فهو نوع آخر أو أنوع أخرى ، وهذا التقسيم — فيما يبدولى — أبسط وأعمق وأهدى سبيلا من تخبطات النقاد وفلاسفة الفنون .

وينبغى أن نلاحظ أن الفنان خلاق ، وأنه لاخلق من عدم عند كل الخالقين أو الخلاقين ، فنحن عند حديثنا بما عند الآخرين نمزج بين ذلك وما هو عندنا ، أو نتصور ماعندهم فى ضوء ماعندنا ولو فرقنا بين الأمرين ، ومن هنا تظهر شخصية الشاعر غير الغنائى فى شعره وإن كانت واقعة فى ضوء أضعف من الضوء التى تبدو فيه شخصية الشاعر الغنائى .

وقد أسلفنا أن الفن تمثيل ، فالشاعر ولو ظهر كاسيا بجلد غيره لابد أن ينم هذا الجلد عنه ، وإن كان ذلك أقل مما ينم عنه ظهوره فى جلده الخاص، ومع ذلك ، أو لذلك، لابد من التفرقة بين حديث الإنسان بما عنده عن شخصه، وحديثه بما عند الآخرين أو — بعبارة أصح — حديثه بما عنده عن الآخرين ، لأن — الفن كما أسلفنا — ذاتى كله وإن قسمناه شخصيا وغيريا .

وفى الشعر الشخصى أو الغنائى ينبغى أن نميز بين حديث الإنسان بما يرد عليه من داخله محضا ، وحديثه بما يرد عليه من خارجه حتى يداخله ، ولا بأس أن نسمى الاول « تامليا » والثانى « واقعيا » ، ولكن ينبغى كذلك أن نفطن إلى معنى « الخلق الفنى » أو عبقرية الخلق عند الفنان ، فقد يدرك الفنان فى داخله صور الأشياء الخارجية قبل أن يراها فى الخارج ، وقد يصورها بأدق وأصدق عما هى عليه ، لانه لايكتفى بتصوير ما كان أوماوقع ، بل يدرك بخياله وبديهته مايمكن أن يكون . وهذه اللقانة أو البصيرة هى أعظم مصادر الفن ومصادر بعض العلوم كالرياضيات، ومصادر بعض الفلسفات ومنها المثالية . وللفنان معمله الخاص الذى يمده بالنماذج ، وله منجمه الخفى الذى يمده بالمادة الغفل ، ليطبعها وفق نماذجه ، وقد يكون عمله أدق مما عليه مثله فى الطبيعة خارجه ، لأن نموذجه أحكم ، ومادته أصفى ، ولأن حريته فى الاختيار أوسع أحيانا ، ولافن بلا اختيار ، ولا اختيار

بلا حرية ، ولا خلق من عدم ، والفنان نفسه من الطبيعة وصورة لها ، وفيه ما فيها ، ولذلك قد تكون أعماله كاشفة لأمثالها فى الطبيعة ، ومبصرة بها ، ودالة عليها ، بل تكون مرشدة لها فى سبيلها أحيانا .

وأرانى كنت أول من سمى بعض رباعياتى «تأملات» وتحت هذا العنوان وحده نشر لى بعضها فى أحد المجاميع الشعرية سنة ١٩٥٨ (١) ، وأعترف هنا أنى كثير المراجعة لنفسى عمدا فى أحيان ، وتلقائيا فى أحيان أكثر ، وأن مشاغل عالمى الداخلى أكثر وأشد من مشاغلى بما هو خارجى ، ولكن مراجعة شعرى - حتى هذه الرباعيات وحدها - تدل على أنى لا أغفل عالمى الخارجى ، ولا أبخسه حقه عندى من النظر والوصف ، وإن كان الطابع الشخصى والبيتى فى رباعياتى وسائر شعرى أظهر و أعمق . فجزء كبير من الرباعيات هنا يبدو كأنه مذكرات شخصية وبيتية أو « أسرية » ، وكذلك عامة شعرى ، فأنا أكتب وأنظم لقرائى وكأنهم أصدقاء من الخلصاء أخالطهم ويخالطوننى ، ولهذا أوجه الخطاب فى معظم كتاباتى إلى « القارىء الصديق » ، واعتبر ما أكتبه كأنه رسالة شخصية منى إليه وحده ، وألتزم فيها ما للرسائل الشخصية من الصدق والإخلاص ، وكذلك أنظر أنا إلى كل من أقرأ لهم ، حتى يظهر من أمرهم أنهم غير أهل لهذه النظرة ، وأنا أحاسب الأدباء الشعراء كما يحاسب الأنبياء فلا أقتنع بهم حتى يكونوا أهل صدق وأمانة وتبليغ وفطانة ، وكذلك أحاسب نفسى قبل أن يحاسبها الناس ، وقد أخطىء فى الحساب أو أصيب ، وللنفس أخاديعها ، ولا سبيل إلى تبين الحق إلا بالمراجعة الدقيقة مرات. وقد لا أرى بأساً فى «أخذ راحتى» أحيانا مع قرائى : كما يأخذ كل صديق راحته مع صديقه فى الحديث أو الجلوس .

٦ ــ **تاريخ الرباعيات** : لا أعرف كالأدب الفارسى أدبا كثرت فيه الرباعيات وذاعت ونالت التقدير والإعجاب، حتى أنه إذا قيل «الرباعيات» - عند مطلع على

---

(١) الحلقة الأولى من ديوان «المختار من الشعر الحديث» وهو ديوان دورى سنوى يصدر فى القاهرة وتشرف على اختياره وتنفق على طبعه « لجنة الشعر » إحدى لجان « المجلس الأعلى لرعاية الفنون الآداب » فى مصر .

الآدب العالمية — انصرف ذهنه إلى رباعيات الادب الفارسى دون غيرها أو قبل غيرها ، وقد ينصرف إلى رباعيات الخيام قبل غيرها أو دون غيرها ، لأن رباعيات الخيام أشهر وأروج فى كثير من لغات العالم اليوم .

وقد لقيت الرباعيات عندنا اليوم من العناية قراءة ونظما ما لم تلق مثله فى شعرنا العربى القديم ، لأن كثيراً من شعرائنا اليوم قد نظموها سواء من إنشائهم أو ترجمتهم ، وبينهم شعراء فى البلاد العربية . وغيرهم فى المهجر .

والرباعية أصيلة بين ضروب النظم فى اللغة الفارسية الحديثة التى نشأت عقب الفتح الإسلامى لفارس ، واتصال العرب بالفرس ، فقد ظهرت عند الفرس فى القرن الثالث الهجرى ، وذاعت فى القرون التالية .

والرباعية عندهم تتكون من أربعة شطور يتفق أولها وثانيها ورابعها فى القافية وللثالث قافية مختلفة غالباً (١) ، بل إن كثيراً من شعرائهم قد التزم هذا الاختلاف ، وإن وجد بين الرباعيات منذ القرن الثالث رباعيات تتفق شطورها الاربعة فى القافية ، ولم تزل أمثلة منها محفوظة حتى اليوم وإن كانت قليلة ، فالفرس إذن يعدون الشطر « وحدة » النظم ، ومثل ذلك فى الدوائر الخمس التى رسمها الخليل عند وضعه للعروض بكل بحوره ، ولذلك كانت الرباعية فى الفارسية بيتين ، ومن هنا يسمونها « دوبيت » أى بيتين ، كما أن البيت الواحد الذى يتفق شطراه فى القافية — مع تغير القافية فى كل بيت — يسمى عندهم « المثنوى » نسبة إلى « مثنى » أى اثنين اثنين .

أما نحن العرب فقد كنا - ولم نزل - نعد البيت « وحدة » النظم ، فالرباعية عندنا أربعة أبيات ، وعلى هذا النحو سار ناظمو الرباعيات عندنا فى شعرنا الحديث وشعرنا القديم وعلى هذا النحو سرت فى رباعياتى .

---

(١) الجزء الثانى من « تاريخ فارس الأدبى » للأستاذ براون
A Literary History of Persia-by Edward Brawme.

مترجمو رباعيات الخيام إلى العربية - أيا كانت اللغة التى نقلوا عنها - يختلفون فى عدد الأبيات أو الشطور عند نقل رباعياته فقد ترجمها بعضهم فجعل كل رباعية فى أربعة أبيات، وغيرهم فى بيتين، وجمع بعضهم فى ترجمته بين هذا وذاك، بل إن بعضهم ترجم كل رباعية فى خمسة شطور.

ومنذ نشأت الرباعيات فى الفارسية الحديثة - كانت الرباعية «وحدة» شعرية مستقلة بنفسها، وإن بدا فى بعض الرباعيات أنها متواصلة بسبب من وهم قرائها، مخالفين ما أراد ناظمها الأول، ثم إن الرباعية فى الفارسية لا ترتبط بموضوع شعرى دون آخر، فهى صالحة لكل الموضوعات، وكذلك هى فى أدبنا الحديث وأدبنا القديم.

ونقول «القديم» لأن بعض شعرائنا القدماء نظموا رباعيات على النهج المعروف اليوم عند المحدثين: فكل رباعية «وحدة» شعرية مستقلة، وأبياتها الأربعة متفقة القافية، وأقدم ما نعرف من ذلك رباعيات «ابن دريد» الأديب اللغوى الشاعر (٢٣٤ - ٣٢٢) وقد عاش فترة فى فارس، فله تسع وعشرون رباعية على عدد الحروف الهجائية ونوعها فى لغتنا، ولكل رباعية منها قافية واحدة تختص بأحد هذه الحروف(١).

ومن هنا نستطيع أن نقول إن الرباعية أصيلة فى شعرنا كأصالتها فى الشعر الفارسى، وعريقة كعراقتها، وإن لم تكثر وتنتشر عندنا كشأنها عند الفرس.

وأرى أخيراً أن نضع لقباً خاصاً لمن ينظم الرباعيات فنسميه «الرباع» كما قلنا «الوشاح» فى ناظم الموشحات، وكما نقول فى مثل هذا الوزن حين ننسب صانعاً إلى صناعته: مثل فنان، وحداد، ونجار، ولبان، وعطار، ومن معانى الفعل «ربع» أن يكون شىء من أربعة أجزاء، فيقال ربع الرحل الحبل إذا فتله من أربع جدائل، ومن معانى «الرباع» الرجل القدير على حمل الأثقال، وهذا المصطلح رائج بيننا اليوم لمن يحمل من الرياضيين وزناً معينا من الأثقال الحديدية ونحوها، ولست أرى أى أربعة أشياء ثقيلة كان القوى يحملها قديما، حتى سمى رباعا.

---

(١) سميت الرباعية هناك «المربعة» وقد آثرت الكلمة المشهورة «الرباعية»

٧ — *ملاحظات هذه المجموعة* : هذه المجموعة رباعيات منفصلة ، فكل منها مستقلة عن غيرها والرباعيات على هذا النحو صالحة للرواج قراءة وحفظا ، لأنها قصيرة ، وقصرها يحول دون الملل منها : وليست السرعة آفة العصر ، بل الآفة فى نفوسنا ، وهى الملل والرغبة فى السهل ، والنفور من المشقة .

وقد جعلت لكل رباعية قافية واحدة ذات روى واحد ، بل بعضها من اللزوميات ، إذ التزمت فى تقفيتها مالا يلزم ، وأكثر ذلك لم يقصد منه إلا الرياضة القصيرة ، ومن المعروف أن الشعراء والعروضيين عندنا يجيزون فى القصيدة والمقطوعة الواحدة — أن تتداول الواو والياء قبل الروى ، فنقول فى القافية مثلا « حكيم ، رءوم ، حليم ، سليم ، رسوم » وهكذا ولكن أجدنى لا أستريح إلى هذا النحو فيما أنظمه من قصائد ومقطوعات ، وإن كنت أغتفره لغيرى فيما ينظمه ، ولا أعده عليه تقصيرا ، فإذا جاءت « الياء » قبل الروى فى مطلع المنظومة التزمتها فى كل الأبيات وكذلك إذا جاءت « الواو » كما هو واضح هنا .

بل أزيد أن هذا الإلتزام « الواوى » أو « اليائى » - ولو مع تغير حروف الروى - هو أسلس فى سمعى من المداولة بين الواء والياء مع اتحاد حروف الروى ، بل إن هذا الالتزام إذا أضيف إليه التزام آخر فى شكل الروى — تحريكا أو تسكينا — يكون أسلس من التزام روى واحد ذى شكل واحد مع تداول الواء والياء قبله ، فإن مد الصوت بالواو متوالية ، أو الياء متوالية كما فى الحالة الأولى يكون أسلس وأعذب فى السمع من مده كما فى الحالة الثانية ، وأقول « فى السمع » لأنى الأذن لا نناقد نسمع بالآذان أو نسمع بغيرها من ملكات النفس . وهذا الجرس موسيقى سائغة بل محبوبة وإذا استمعنا إلى القرآن الكريم ظهر لنا ذلك ، فى « المزاوجة » ، وفضل الحالة الأولى يكون أكثر ظهورا إذا كان الوقف على الروى بالسكون ، فالكسر ، ويليهما الوقف بالضم ثم الفتح ، والحالة الأولى والثانية أفضل من تعدد القوافى فى المنظومة الواحدة بيتا فبيتا .

وقد استعملت الرباعية هنا فى موضوعات شعرية مختلفة ، وأجدها — فيما جربت - صالحة لكل هذه الموضوعات دون خلاف ، ولا شرط إلا أن يكون الخاطر قصيرا رشيقا بحيث تستوعبه الرباعية . كما ألاحظ أن « الخفيف » أكثر البحور رواجا فى شعرى كله ، ومنه الرباعيات ، وليس هنا بيان الأسباب ، وإذا كانت لى رباعيات فلى بحمد الله مطولات ومنها ما تعد فيه الأبيات بالمئات . والرباعيات هنا لم ترتب وفق التاريخ ولا القافية .

٨ — **بين الابتداع والاتباع** : لست أنا — إذن — مبتدع هذا القالب : قالب الرباعية ، بل أنا فيه متبع ، ولكنى متبع مجتهد لا مقلد ، لأنى أجدنى بكل ذرة وخالجة فى كينونتى أبغض التقليد المصمت فى كل نزعة ، وأنفر منه فى كل نشاط ، وأرفضه بلا تحفظ ، وأعده دليلا حاسما فى أصحابه على فساد الطبع ، وبلادة الذوق ، وإسفاف الفكر ، وعقم الخيال ، والعجز المقعد عن احتمال المسئولية ، والزهد المريض فى الحرية ، بل لا أجد كالتقليد دليلا حاسما على العامية أو الدهمائية فى الخلق والعقل وسقوط الهمة وضيعة الكرامة الإنسانية ، ومن كان فى التقليد كذلك — لجمود ملكاته وإسفافها — فليس على « رشد » يتيح له أن يؤتمن على نفسه ومصالحه ، ويوكل إليه الاستقلال بتدبير أموره ، بل هو — لقصوره — أحوج لأن يقاد ويساد ، لكى يجد الهداية والحماية عند رشيد كفء غيره ، وإلا ضاع وأضاع .

لا قيادة ولا سيادة بغير اجتهاد حر ، لكى يحفظ المرء نفسه ، ثم يهدى غيره ويحميه ، ولا اجتهاد ولا حرية بغير امتياز فى الملكات يحمل صاحبه ضرورة على الثقة بنفسه ويوحى للآخرين الثقة به ولو عن عدوى لا عن تفكير ، ثم يحفزهم على الاطمئنان إليه ثم الاطمئنان معه فى التفكير والعمل ، وألزم ما يلزم ذلك فى مسائل الفكر العليا ، ونقصد بها كل ما تشمله مباحث الفلسفة المأثورة : وهى مبحث الوجود Ontology ومبحث المعرفة Epistimology ومبحث القيم Axiology ، وما يندرج تحت كل مبحث حتى الغيبيات ، ومعضلات الفنون ، وموضوعات الجمال والجلال .

وإذا كان للعامة وأشباهها عذرها أو أعذارها فى التقليد الذى يشبه التقليد عند العجماوات أو الآلات : إما لجهل ، أو غفلة ، أو قصور فى الذهن ، أو ضعف فى الهمة ، أو عجز عن احتمال المسئولية ، أو جبن عن المخالفة ، أو نحو ذلك — فليس للخاصة ومن يدعون أنهم منها أى عذر فى التقليد . والخاصىّ المفكر لا يرضى لنفسه سبل العامة أو الدهماء فى تفكير ولا منزع ، ولا يتستر بشىء من أعذارها أو يغتفره لنفسه ، وهو — تجاه المسائل الفكرية العليا — لا يمكن أن يقنع بإيمان العجائز فضلا عن أن يطلبه ويتمناه ، لأنه يؤثر أن يخوض العذاب إلى النار برجليه - على أن ينتقل مستريحا إلى الجنة فوق أكتاف الآخرين ، فمن

تستر بشيء من هـــذه الأعذار فهو دخيل على الخاصة ولو كان من الوجاهات الاجتماعية فى أعلى مكان . وكأين من وجيه فى أعلى القمم الاجتماعية وهو — فى همته وملكاته — كأحط العامة أو الدهماء .

وللخاصة أعذارها فيما تحتمل من أعباء ، لأنهم مخلوقون للقيادة والسيادة فى عالم العقل أو الروح ،وهم يُقصدون ويُرصدون لأعلى مسائل الفكر التى تتناول الوجود كله ولا سيما الوجود الانسانى فى أعمق آفاقه وأرفعها ، وهم مضطرون تلقائياً لأن يقتحموا فى هـذا التيه كل مجاهله الرهيبة ، كأنهم « كولمبس » فى بحر الظلمات ، بل هم فى تيه أغمض ، وعلى حال أنكد ، فليس لهم ما يسلمون به تسليما تاماً أو راجحاً من نحو خريطة ولو تقريبية، ولا دليل أمين ، ليس لهم من معول كالإبرة المغناطيسية — خلال إضطرابهم وضربهم فى هذه المجاهل — إلا العقل والتجربة ، ولا مفر من التعويل عليهما ، وإن كان كلاهما — مع من يبلغ جهده وكفايته — عرضه للزيغ والضلال .

والخاصىّ المفكر لا يسلم قياده بسهولة لغيره فى هـذه المجاهل ، بل يحاول وسعه أن ينظر مباشرة إلى الكون حتى يرى بكل جهده ما سطره الله فى هذا السفر الإلهى العظيم ، كى يقرأ فيه بنفسه لنفسه أولا ولغيره ثانياً ، وليعرف المقاصد الإلهية من وراء حروفه وكلماته وجمله وسطوره ، فهو يحاول دائماً أن يبدأ من درجة الصفر أو من بداية الطريق ، وإن كان هذا لا يستلزم منه أن يهمل ما وصل إليه سابقوه خلال ضربهم فى مجاهل هذا الطريق الرهيب، أو ما عرفوه قبله من آيات هذا السفر الإلهى ، ونحن لا ندرك فى دقة وإخلاص ما تنبض به الطبيعة ونحن نصافحها بيد يلفها قفاز . ولا نعى كل ما انطوت عليه خفاياها من جمال وحرارة حتى نتصدى لها كما ولدتنا أمهاتنا عراة من كل ملابس التقليد ، ثم نخالطها بكل ما أوتينا من إخلاص وعزم وشجاعة ، وهذا أبعد ما ترتقى إليه همة بشر من ماء وطين ، إذ يعتمد على الله وحده ليستمد به فيما يأخذ وما يدع ، وهذا هو طريق العباقرة أولى العزم من أصفياء الله وأوليائه ،وهم الملهمون من الأنبياء والمصلحين والفنانين والفلاسفة والعلماء والمخترعين ، وإن كانوا من الأميين .

وينبغى أن نلاحظ أن البشرية لم تحرز أدنى فتح ثقافى أو حضارى بـكثرة

المتبعين عن إجتهاد أو تقليد وهم ملايين فى كل عصر ، بل تقدمت بالمبدعين وحدهم وهم ندرة فى تاريخ البشر كله، وإن كان المتبعون بنوعيهم هم الذى يحفظون ويحتضنون ما يحوزه لهم المبدعون من فتوح نظرية وعملية فى عالم الثقافة والحضارة .

ولكن كل هذا لا ينبغى أن يغوينا أو يدفعنا إلى الخفة والنزق فى طلب البدع لمجرد التغير ، فهذا تمرد لئيم لا يوسوس به إلا العجز عن حمل المسئولية ، والرغبة فى الإفلات منها، سواء فى ذلك مسئوليات المنهج القديم أو مسئوليات المنهج الجديد ، وينبغى لنا أن نتجنب هذا التمرد وننفر منه أشد من اجتنابنا للتقليد فى فى اتباع العرف بكل سيئاته ، فالمقلد لا يحرم نفسه من شرف المسئولية فى التضامن مع الآخرين مثل ما يحرمها إياه المتمرد فى خروجه على العرف وإشاعة البلبلة والخلاف مع الآخرين .

ومن أوضح آيات الأصالة الفكرية أن يفتح المفكر دائما أبواب عقله لكل واردات الوجود من داخله وخارجه ، فلا يغلق بابا دون غريب ليدخله إذا ارتضاه عقله أو يرده إذا رفضه ، وكذلك لا يمسك بكل ما ألفه وعايشه فى حياته من الواردات إلا بعد امتحان دقيق ، فيبقيه أو ينفيه . ولسنا معصومين ولا مطالبين بالعصمة ، ولا طاقة لنا بها ، وفى ذلك كله خير لنا ومصلحة ، فإن تكاليفها فوق احتمال الخلق جميعا مهما يتضامنوا ، ولذلك كانت العصمة لله وحده « ليس كمثله شيء » ولسنا على يقين من سواء الحق فى أى أمر من أمورنا ، فعلم ذلك عند الله لا يعزب عنه شيء ولكن ذلك لا يعفينا من توخى الحق ، والغيرة على ما نراه حقاً ، وطلبه بأقصى الطاقة فى كل أمر ، وكذلك نحن مطالبون بالاجتهاد التام فيما نقبل أو نرفض ، ولا تمام للاجتهاد إلا ببذل أقصى « الجهد » فى الامتحان والتجربة المتكررة ، مع شدة التحوط ، حتى لا تتسرب الأغاليط إلينا خفية أو جهرة ، ومن داخلنا أو خارجنا ، عند كل محنة .

ولكن ينبغى أن لا ننسى للعرف أو المألوف حقه فى ربطه بيننا وبين الآخرين وتيسيره المعاملة بيننا وبينهم، إلى جانب سهولته، لاعتيادنا عليه، كما لا ننسى ما يؤدى إليه إهمال ذلك ومخالفته من مشقات ومنازعات ولا سيما فى المألوفات اليومية ، وإن مألوفاتنا أشبه بزوجاتنا، فالمرء يجتهد غاية الاجتهاد فى اختيار زوجته ولكنه إذا

تزوجها كان بينه وبينها ميثاق غليظ وحرمة حصينة، ولسنا نجد عاقلا يصدق أن زوجته خير نساء العالمين جملة أو تفصيلا ، ولكنه مع ذلك لا يستبدل بها غيرها أو يضارها كلما رأى امرأة أفضل منها ولو كان قادراً على ذلك ، وإنما يرضى ذلك ويجتهد فيه إذا وجد أن عيشه معها يخل بحياته أو راحته أو أمنه أو كرامته أو نحو ذلك مما لا صبر عليه ، فإذا هان الضرر أو أمكن تهوينه والصبر عليه فالزوجة أولى من غيرها ، ولها من فضلها وماضيها وأهلها وولدها وضعفها البشرى شفيع بل شفعاء .

وهكذا موقفى من كل مألوف وغريب ، ومن كل ما أبتدع وكل ما أتبع ، فهو ابتداع مجتهد أو اتباع مجتهد ، وليس الفرق بين الأمرين كبيرا من حيث الجهد العقلى والأخلاقى ، وإن تباعد الفرق بينهما فى الفضل ، وهذا هو موقفى من الرباعيات إذ أتبع فيها عن اجتهاد مع توخى الحق والحكمة ، فقد أبقيت عليها وحاولت إحياءها وتنشيطها لأنى وجدتها وافية بمقصدى منها ، وقد كنت أستطيع أن أنظم ثنائيات أو ثلاثيات أو خماسيات أو سداسيات أو نحو ذلك ، وكنت — بحمد الله — قديرا على ما أريد منه لو أردته ،ولكنى وجدت فى الرباعية كفاية ورضا . ولو أنى خالفتها إلى قالب آخر ألتزمه كالثلاثيات أو الخماسيات ونحوها لما عدمت - بين الأغرار من أدعياء النقاد ومؤرخى الأدب - من يهلل لهذا «الفتح المبين» كما هلل أمثالهم لأمثاله ، ولكن أجدنى لا أحفل بهذا الفتح السهل الرخيص. وكذلك كنت أستطيع أن أتلاعب بالأوزان والقوافى ، فأداول بينها كالحواة والمشعوذين والمنحرفين — وكنت على ذلك قديرا بحمد الله — فأكسب بذلك ثناء «أصحابنا» الأغرار ، ولكن وجدت الوقار أفضل من هذا النزق ، ولم أجد حاجة إلى كسر «قانون» مألوف لم يظهر يقينا خلله وإخلاله بما نحرص على رعايته من حياتنا أو كفاياتنا ، وليس كل ثناء يطلب ، ولا كل لوم يزهد فيه ، وإن كانت العافية أولى ، ونسأل الله العفو والعافية فى البدء والختام

كبرى القبة — القاهرة ١٩٦٦/٦/١٠ محمد خليفة التونسى

أسرة الكون

لو فؤادى فتّحتَه لرأيت الـ ـكون طرًا مُصوّرًا من ضياء
الشياطينَ والملائكَ والنا س ، وشتّى الجماد والأحياء
دارتى الكونُ من سماءٍ وأرض وبنوه : دماؤهم ودمائى(۱)
إننى أنتَ ، إننى هو ، إنى أنا ، فى الرَّحمِ والهوى والولاء

كونى وبيتى

وقفت قلبى على زوجى وصِبْيتِنا وفيه للكون أُفقٌ شاع ، فاتّسعا(۲)
الكون كونى ، وإنّى فيه صاحبهُ ما دمتُ أهواه ، أيّا ضرّ أو نفعا
والمرء مايهوَ يملِكْ بالهوى ، ويَغرْ على حماه ويحفَظْه بماوسعا(۳)
إن كان بيتىَ أدنى لى ، فكونى فى بيتى ، وإنهما فى مهجتى اجتمعا

---

(۱) الدارة : البيت أو الصغير منه ، وهى أيضا الدائرة ، والمعانى كلها صالحة هنا ومطلوبة دماؤهم ودمائى : أى مجتمعة ، وهذه هى الخبر المحذوف، والمعنى أننا «بنية حية واحدة» فنحن متضامنون حياة وذمة وسعيا .

(۲) اذا كان الشىء شائعا كان فيه الحق لكل شريك ، ومن هنا يسع حقوقهم كلها .

(۳) الفكرة هنا أن حبنا للشىء هو وسيلة امتلاكه وهو الوثيقة الصحيحة التى تثبت دعوى تملكه فى صدق فاذا أحب المرء شيئا كان مالكه ولو لم يكن فى حيازته أو لم يدفع ثمنه ، لان الشعور بالملك يأتى من الشعور بكل حرمة المملوك وكل قيمته ، واذا ملك المرء شيئا بالحب أخذته الغيرة لحمايته ، ودافع عنه بكل طاقته ، لان هذا حق المحبوب الذى يستوجبه الحب على نفسه دون دافع على ذلك الا حبه له . واما حيازة الشىء أو الاستيلاء عليه دون حب له فهو أشبه بالغصب أو الاختلاس أو الاستثمار أو الاستعارة ونحوها ، لان حائزه ـ حينئذ ـ لا يعرف قدره فهو لا يغار عليه الغيرة الحقة ولا يقبل الفداء فى حمايته والدفاع عنه ليبقى مصانا . والمحبوب مصان سواء كان نافعا أو ضارا .

الأبوة الكونية

إنما الكونُ أسرةٌ نحن منها وسَــواءٌ صغيرُها والكبير
المجرّات إخوةٌ فيــه والذّ رّاتُ ، يُمْلى لها اللطيف الخبير
كلها فى حماه تحيا ، وفى نعــماه ترعى ، ومن سناه تنير
لا المجراتُ فيـــه تحتقر الذّ راتِ ، أو يزدرى النمالَ البعيرُ

أبوة شاملة

نافستَ آدمَ فى أُبوّتِه فَكأنّ كلّ النــاس أولادى
حتى الشيوخُ تضعضعوا — كأبى سنّـا — أراهم مثل أحفادى(١)
وارحمتــاه ، لما يُخالجُنى للنــاس مِن حبٍّ وإسعاد
أرضى عيوبَهمُ ، وأغفرُها وأحبهم حبَّ الأدب الفادى

حب الحب

قالت: «أتحبُّ الحبَّ؟» قلتُ: «أحبه وأجِلّه كالعابد المتحنِّف(٢)
وإخاله سرَّ الوجود ورُوحَــه ، طورًا يكاشفنا ، وطورًا يختفى
لم تأتلِف ذراتُه إلا به فهو المِساكُ لشملها بتلطُّف(٣)
وَحْىُ العقائدِ والفنونِ جميعِها منــهُ ، ولا وحىَ بغيرِ تعفُّف

---

(١) الاحفاد : جمع حفيد ، وهو ابن الابن وابن البنت ، ولم يرد هذا الجمع ، ولكنه أشهر من الجمع المأثور (حفدة) ثم له أشباه فى اللغة ، مثل شريف وأشراف ، فلا بأس بقياسه عليه تجوزا .

(٢) المتحنف : المتمسك بدينه .

(٣) مساك الشىء : القوة التى تمسكه .

نقائض المرأة

لم أجِدْ فى الحياة أعجبَ من حـــواءَ خَلْـقًا ، ولا أدقَّ مكانا
قد وعت من نقائض الخلْقِ أشْتا تًا تضِلُّ العقول فيها امتحـــانا
حيوانٌ قــــدْ سِيم عِبْءَ إلهٍ واستوى — وفْقَ زوجه — إنسانا(١)
نصره فى انهزامه ، وســــناه فى دجاه ، وإن تعالَى تدانَى(٢)

الرجل والمرأة

زعموها مثــلى ، ولسنا ســـواء بل تمامى بها ، وخصْبُ حياتى
أنا من غيرها شقىٌّ ، ولكن هى - دونى - كالترب فى الطرقات
أنا منها قوامها ، وهى منى مِسعرى إن خبتْ لظى عزماتى(٣)
هى غنمى من الجهـــاد ، وشتىَّ قنصى عندها ، لترعى نباتى(٤)

صلاة الزواج

ربِّ ، هبْ لى زوجًا تحصِّن نفسى وتقينى شرور ضعفى وبأسى
وأراهـا أوْلى النســـاء بحبِّى وجهـــادى ، فأفتديها بنفسى
وإذا ما نعمت صــانتْ نعيمى وإذا ما تعِستُ رقَّتْ لتَعْسى
وكأنا أخ وأخت مـدى العمـــر ، وفيَّان فى سعود ونحس

(١) سام غيره الامر : كلفه به ، وسيم شيئا : كلفه به غيره ، والمرأة مكلفة بالولادة والحضانة والفداء .

(٢) اذا غلب الرجل المرأة على نفسها كان ذلك اكبر انتصارها عليه ، لانها سخرته فيما يراد منها للحياة ، واجمل ما فى المرأة هو ما انطوت عليه نفسها ، وهى لذا تكبرت وعندت كان فى ذلك هبوطها .

(٣) المسعر : الاداة تحرك بها النار لتستعر أى تلتهب ، والسعير : النار أو اللهب ، واللظى : النار .

(٤) أى هى جائزتى فى صراع الحياة ، وكل ما تستفيده من عملى أضعه فى يديها لتدبر به معيشتى ومعيشة اولادى منها .

أضغاث أحلام

ترجو، وتخشى ؟ ولا تنفكّ ذا قلق مضيّعا بين لذّات وآلام
كأنما أنت شيء فى الوجود، له قدرٌ ، فيُمنى بإمتاع وإيلام
وإن تدبرت أقدار الحياة تجد غنًى كفقر ، وإشراقا كإظلام
فما الحياة سوى أضغاث أحلام[1] دُرْ كيف دارت بك الأيامُ مبتهجا

دعاء الحب

أكرمينا نكرمْكِ، فالدهر لا يحـنو على العاشقين فى كلّ آنِ
والشبابُ المعشوق والحسن كنزا ن، ولكنْ هما — معا — هالكان
وغرامُ الشباب والحسنِ أهلٌ أن يُلبَّى بهمّةِ الشجعان
فلْنبادرْ لدعوة الحبّ، ولْنسعدْ معاً قبْل عاديات الزمان

الحب والشباب

أيا جارتا، إنى مشوقٌ، فأسعدى فلا خير فى نعمى ينغصها المَطْل[2]
عذرتك لو أن الطريق عسيرةٌ وليس بعذْر فى شريعتىَ الدَّلُّ
فإن تُسعفى أحمدْ رضاكِ، وتحمدى.. وإن تمطلى لم يُرضنى فى الهوى الذّل[3]
إذا المرء لم يبلغ مآربه فتىً أيبلغها — بعد الفتى — الشيخُ والكهلُ[4]

---

(1) أضغاث : أشياء متفرقة .

(2) المطل : التأخير ، ومطله يمطله تأخر عنه فى أداء شئ له .

(3) أى : تحمدى رضاى كما أحمد رضاك .

(4) معنى الشطر الاخير : أيبلغها فى شيخوخته وكهولته بعد ان عجز عنها فى شبابه .

الحياة والنساء

هل تطاق الحياةُ دون النساء ؟ هُنّ كالماء ، والسنا ، والهواء
هنّ أنس النفوس فى وحشة الدنيا ، ورُسْلُ الأجسام والأهواء
هن أنكى بؤسى ، وأمتع نُعْمَى هن أعصى داءٍ ، وأشفى دواء[1]
ليس ينجو من سحرهنّ سوى من هو أهلٌ لنُدبة ورِثاء[2]

بشير ونذير

لا تُسرف فى التّجافى ، إننى رجلُ فإن ظلمتُ فما فى رَجْعتى أملُ
إن أُجفَ أَجفُ ، وإن أُوصلْ أَصِلْ قُدُماً ولى من الفضل ما يَزْهُو به الرجل
لكن طُبِعتُ على ترقيق حاشيتى وحجب بأسِىَ ما لانت لى السُّبُل
فإن تعرّض لى باغٍ شهرت له سيفى ، ولو نالنى فى حربه الأجلُ

المفضّلات

ليس همّى منهنّ شحماً ولحماً فأرى الحسنَ فى السِّمان العِراضِ
أو هوى الضامرات كالهيكل العظمىّ ، والناحلاتِ مثل المراض
أنا لست الجزّارَ ، أو طالبَ الطبّ ، وعلم التشريح والأمراض
إنما الغيد — كالدُّمى ناطقاتٌ بالمعانى أوصالُها — أغراضى[1]

---

(١) أنكى : أوجع ، والنكاية : المبالغة فى الايذاء .

(٢) المعنى أن بواعث الحياة فى الانسان — ما دامت تخالجه — لا بد أن تحمله على طلب المرأة وحبها ، فاذا زهد فيها دل ذلك على ضعف هذه البواعث فيه وعجزه عن الاستجابة لفتنة المرأة ، وهو حينئذ أشبه بالميت ومن هنا استحق اللطم عليه والنواح .

(١) الغيد : مفرده غيداء ، وهى المرأة التى تتثنى لينا لرشاقة أعضائها وطراوتها والاوصال للمفاصل .

مسالمة الحياة

ثِقْ بالحياة ، وأسلها قيادك فى رفق ، وأوسع لها صدرَ المعاذير

ولا تلُمْها على ذنب فليس لها شىءٌ من الأمر فى حكم المقادير

مضطرةٌ هِىَ : إن أعطتْ وإن مَنعت فلا تصفها بفضل أوْ بتقصير

وعش كأنك فى حُلم بلا قلَق فإن عالَمنا أحلامُ خِمِّير(١)

نزوة كريمة

ما أرانى أموتُ إلا قتيلاَ مُستطالاً عَلىَّ ، أو مستطيلا

هكذا مات كلُّ من كان قبلى يعشَقُ الحقَّ غايةً وسبيلا :

فصريعٌ بالسيف ، أو فوق عُودٍ أو حريق ، أو بالعذابِ طويلا(٢)

أو شَجٍ ، حتف أنفه مات ، لكن منع اليأسُ نفسه أن تسيلا(٣)

نقمة فى نعمة

يامن يُباهى بالسلامة من هوَى خِتَنِ النساءِ ، خرِستَ ، أنت جمادُ

هُنَّ الحياة ، فمن يَحُلْ عنهن لم يَستَبْقَ فيه للحياة مراد(٤)

دون القبور أجلُّ منك ، فإنه يهوى الحياة يقود أو ينْقاد

فإذا دعا صوتُ الحياة أجابه ولكن عدتك غوايةً ورشاد(٥)

---

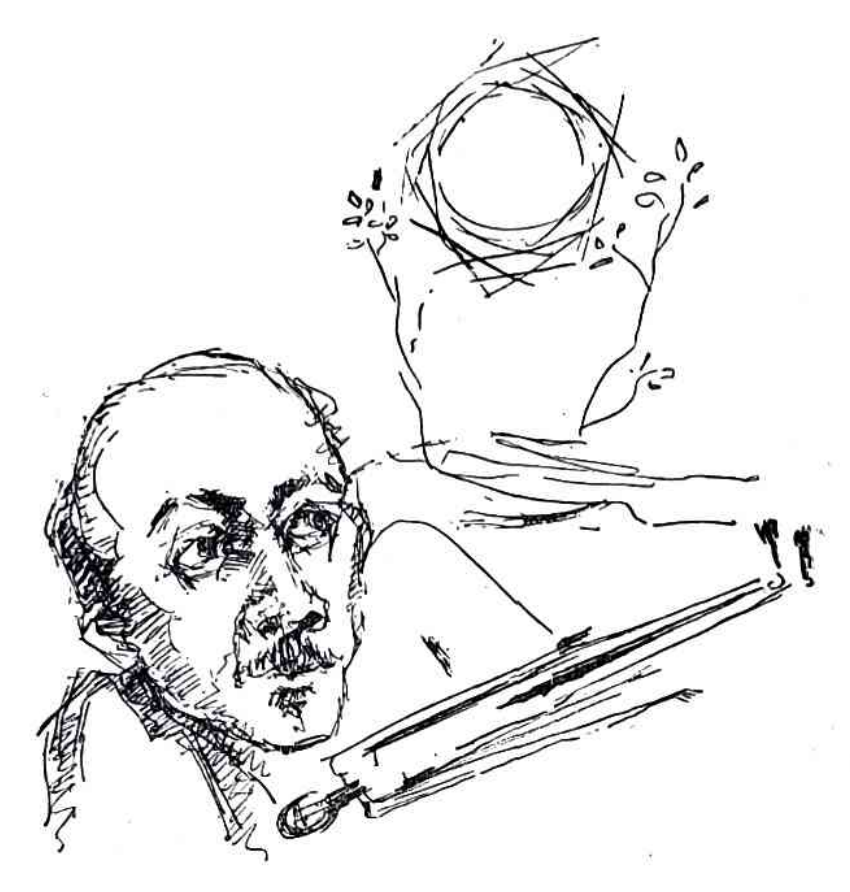
(١) الخمير : المخمور ، السكران .

(٢) العود : العمود ونحوه من خشب أو غيره .

(٣) شجى بالشىء فهو شج ، أى مشغول شقى به ، ومات حتف أنفه : اى موتا طبيعيا، ونفسه : دمه : أى انه مات يأسا لخيبة مساعيه ، وغمه بالعجز عما كان يريد من الخير .

(٤) المراد (بضم الميم : المطلوب ، والمراد (بفتحها) : المكان الذى يرتاد ويبحث فيه ، والمعنيان صالحان هنا ، والفكرة أن المرء اذا زهد فى النساء دل ذلك على فرنه من كل ماتريده الحياة منه ، أو لم يبق لها ما ترتاده وتبحث عنه .

(٥) دون القبور حى ، فهو يغرى غيره وغيره يغريه ، فهو يشتهى ويشتهى ، وهو يقوم بتكاليف الحياة ، ولهذا يحكم على مساعيه بأنها ضالة أو راشدة ، واما الزاهدة فى النساء فلا يوصف زهده بانه رشد او غى ، لانه القى عن نفسه تكاليف الحياة من عجزه ، فصار كالميت والجماد ، فتجاوزه الحكم ، فلا يقال فيه ضال أو راشد ، فلا تكليف ولا مسئولية الا مع القدرة والحرية .



الشمس معشوقة

ليت شعري ، أتُشرق الشمس يوماً وأنا فى الثرى حبيسُ الظلام ؟
ولقد كنت — مذْ وَعيتُ — أناجيها بحبى فى يقْظتى ومنامى[1]
أتملىَّ عِشقا لهَا حين تبدو ثم إذْ تختفى وراء الغمام
وإذا الليل لفَّنى بِتُّ أرعا ها بأشواق عاشق مُستهام

شيوع الصور النسائية

أكل شىء — عليه رسمُ فاتنة بالسوء ، فى مشهدٍ للعشق مبتذل
ويْل الأنوثة فى عصرٍ يَهون به بأسُ الرجولة فى التفكير والعمل
هُناً عليهنّ إذْ وُلِّين حاشية من أمرنا ، نخلط الجدَّ بالغزل
وما النساء بأهل للولاية فى عزْم الأمور ، وإن ثُقفْنَ كالرجل

(١) المناجاة : الحديث الخفى بين اثنين : أى احدثها وتحدثنى فى خفية .

نقص أو فضل

أَلِنقصٍ يَشينني ، أو لِفضلٍ . . . وَحشى ، إذ أكون بين الأنام[1]
وائتنــاسِى بعزلتى مع نفسى مفــكِراً فى تقلّــب الأيام
أو مُفيضاً على اليراعة أفــكارى بقلب — من لوعة الوجــد — دام
فى يمينى ، كأنهــا بِدمِى تنــــبض ، فيما تُسيلُ من إلهــامى[2]

رُعاةٌ ورُعاة

يا راعىَ الناسِ ، لا تشمخ بِرِعْيتهم ومنك أكرمُ حظاً قَيِّمُ الغنم[3]
فرِعْيةُ الغَنم العجماءِ مُطلِقةٌ فى النفس للعطف والإيمان والكرم
ورِعيةُ الناس لا تنفكُّ تفسِدُ فى قضائل النفس ، مثل الدود فى الرمم
فَفِرَّ عنهمْ إلى سِرْب تلوذُ به فى غَيْبِ صحراءَ ، طلق الحسِّ والفهَم

الدهماء

متى كان للدهماء عقلٌ ومنطقٌ ؟ فلا تتولَّ غــيرَ ما هُوَ أليقُ ؟
تراهــا كقُطعان الخنازير : هَمُّــها طعام ونسلٌ ، حيث تسعَى وتنطق
إذا اجتمعوا ضروا ، وهان خداعُهم ولــكنهم للنفع حيثُ تفرقوا[4]
وإن قام فيهم ناعق فتِنوا به ولوسامهم أقصى المحُال لصدَّقوا

---

(1) لا تمام الشطر الأول : أم لفضل يزيننى ، والشين : العيب ، وشانه يشينه : عابه .

(2) أى كما ينبض الدم فى العروق وهو يسيل خلالها ـ كذلك أحس باليراعة (القلم) فى يمينى تختلج فيها الخواطر الحية التى ألهمها وهى تجيش فى نفسى ، فتسيل فى اليراعة حتى تفرغها على الورق كلاما .

(3) شمخ : تطاول وتكبر . والرعية الرعى .

(4) من الكلمات التى قرأتها منسوبة الى الامام على مرة ، وعمه العباس مرة ، فى تقديره للدهماء ـ أنهم « اذا اجتمعوا ضروا ، واذا تفرقوا نفعوا » لانهم فى اجتماعهم لا يشتغلون الا بالهرج والفتنة والنزاع ، ولكنهم اذا تفرقوا انصرف كل واحد لاداء عمله والاشتغال بمصالحه ، فهم فى الحالة الاولى يضرون أنفسهم وغيرهم ، وفى الحالة الثانية ينتفعون وينفعون .

غربة نفسية

أرانى غريباً بين صحبى وجيرتى ... فما نهجُهم نهجى، ولا همُّهم همى :
يُسِفُّون كى يعلوا بغير كفاية ... وينتحلون المدحَ فى موضع الذم(1)
إذا خُوشِنوا ذلُّوا، وإن حوسنوا طغوا ... فاؤمُهم فى قبحه أعجبُ اللؤم(2)
فيا ليتَ لى أهلاً وداراً سواهما ... فما أجنتا للحرِّ غُنْماً سوى الغُم

كيف السعادة

كيف السعادةُ فى الدنيا، وأنت ترى ... من حولك الناس صرعى الروح والجسد؟
لو كنت ربًّا، وهُمْ ما هُمْ، لما خطرت ... لك السعادةُ — مهما تَبْنِ — فى خلد
إن السعادة لا يُرجى تحقُّقها ... حتى ترى كلَّ من تلقاه فى رغد
فأسعدِ الناسَ تسعدْ، فالغنى حرٍ ... بالبذل، كالأمِّ إذ تحنو على الولد(3)

الحب فى الكهولة

أرانىَ — فى الخمسين — بالحب متعَباً ... كما كنتُ فى العشرين، أو فى الثلاثينا
فحتَّام أشقى، ثم أسلوه كلَّه ... فأُشْفَى؟ أفى السبعين أم فى الثمانينا؟
لئن مُدّ لى فى العمْر — والحبُّ شاغلى — ... لأصطلِيَنَّ الويلَ منه أفانينا(4)
أرى حكمتى تهدى سواى، فإن ألذْ ... بها فضحتنى، وهى وَفْقُ الرضا حينا

(1) يسفون : يهبطون . ينتحلون : يدعون زورا .

(2) خوشنوا : عوملوا بخشونة ، وحوسنوا : عوملوا باحسان .

(3) حر : جدير ، مستحق . والغنى حر بالبذل : حق عليه ان يبذل مما يملك كما تبذل الام ، دون من ولا اذى ، والمعنى ان كل قادر على عمل الخير ينبغى له ان يلزم نفسه العون لكل محتاج ، سواء كانت القدرة والمعونة بالمال او الجاه او العلم او الخبرة او الارشاد ولو بالكلمة.

(4) اصطلى : احترق . والويل : النار والهلاك والعذاب . وافانين : انواع ، واحدها افنون .

(5) لاذ بالشيء احتمى واستتر به ، والتجأ اليه .

شجاعة الإيمان

ليس للمرء عصمةٌ من شكوك الـــعقل إلا شجاعةُ الإيمان :

نحن في الكون دون شك ، ولا مَخْـــرَجَ منه لخالد ، أو لفان .

كلنا ضامن لديه ، ومضمو ن ، فلا شيء فيه دون ضمان[1]

ولو انا فيه التقفنا جميعا لا لتقى الخلدُ مطلقا بالزمان[2]

تكافؤ الحقوق

لا يظنَّ امرؤ بأن له عندي إلا كمثل حقي عليه

فإذا ما وفى وفيتُ كريما أو دهاني أطعمتُه أذنيه

عِشتُ لم أعتمد سوى الله عونًا ثم نفسي ، فيما سعَيت إليه

فلماذا تصاغري لسِـــواه وجميعُ العباد رهنُ يديه ؟

---

(١) كل كائن بين الكائنات ضامن لسائرها ، ومضمون منه : فالتضامن بينها يشملها جميعا .

(٢) الله — عز شأنه — كائن أبدى خالد ، والمخلوقات — ونحن منها — كائنات زمانية فانية أو صائرة ، ونحن نستصغرها جميعا الى جانب عظمة الله وكماله ، كما نستصغر الزمان الى جانب الأبد ، ويزيد من استصغارنا لها اننا ننظر اليها أجزاء متفرقة ، وهذه النظرة ناشئة بالضرورة من طبيعتنا العاجزة ، ومن عقلنا القاصر الذى لايستطيع أن يعى « الكل » ويحيط خبرا بكل آفاقه وأسراره ، فهو لايدرك الأشياء الا أجزاء متفرقة ، ولا يفهمها او يتصورها او يتخيلها الا على هذا النحو الأبتر المزق المضلل ، مع أن الخلق « كل » واحد . ولكن لو أننا استطعنا ان ندرك جملة الكائنات الزمانية وهى « كل » دفعة واحدة لأكبرنا منها مانستصغر ، وعرفنا مقدار عظمتها اللائقة بعظمة الله الذى خلقها من فيض كرمه وانعامه ، وكذلك لو أدركنا الزمان جملة — وهو « كل » — لعرفنا أنه صورة للابد لائقة به .

ويحاول كثير من المتدينين أن يقرروا عظمة الله باصغار الانسان واصغار الكائنات الزمانية ، عن طريق تجزئتها والنظر الى كل جزء أو مجموعة أجزاء على حدة ، وحينئذ تبدو صغيرة فى جنب الله ، كأن عظمته — تعالى — لاتثبت عندهم الا بصغر المخلوقات جملة وأجزاء ، وغايتى هنا تقرير عظمة الله بطريقة تدابر طريق هؤلاء المتدينين ، وهى كشف جوانب العظمة فى الكون ، فهذه الطريقة — عندى — أصح وأوفى من طريقة هؤلاء ، وهى اشد فى الدلالة على عظمة الله ، واليق بكماله ، فبقدر عظمة المصنوع تظهر عظمة الصانع ، وبقدر عظمة الكون تظهر عظمة خالقه ، فهو القاهر فوق عباده ، وليس كمثله شىء .

منبع السعادة

خيرُ ما فى الحياة أن تُسدىَ الخيرَ لمحتاجه نقيًّا خفيًّا
فتراه فى غبطة بعد بؤس ناعما بالُهُ بشوشَ المحيا
يتغنى بنعمة العيش ، كالعصفور حرا ، قد نال شِبْعًا ورِيا
إنما منبع السعادة إسعادُكَ ما استطعت كلَّ من كان حيا

رحمة أبوية

ألفتُ حماقاتِ الزمان وأهلِه ... فأصبحت ألقاها برحمة والد
وقد زادنى أنساً بها طولُ إلفِها ... ووعيي لضعفٍ فى الخليقة تالد
وأن مقاييس الأمور كثيرة ... وأن ليس شىءٌ فى الزمان بِخالد
ولو كان مثلى الناسُ بِرًّا لأدَّبوا ... فتاهمُ بـ«أحسن» لا بـ«نازعْ وَجالِدِ»

سوء الظن

يا من أساء بهذا الناس ظِنَّتَه ... جمعتَ بين العمى واللؤم فى النظر (١)
ألستَ منهم، وفيهم مثلُ ما بِكَ : من ... خير وشر ، ومن صفْوٍ ومن كدَرِ ؟
وهبْك من عيبِهم خُلوا ، أليس لهم ... عليك حقُّ الهدى والنصح والسهر ؟
أ كلُّ حظك أن تنعَى معايبهم ... فعلَ العدوِّ ، لِلُؤمٍ فيك مستعر ؟ (٢)

---

(١) الظنة : التهمة ، والمعنى أن سوء الظن بالناس ــ اعتباطا ــ دليل على قصور العقل وسوء الخلق عند صاحبه .

(٢) هو ينعى المعايب : يظهرها ويشهرها . ومستعر : متوقد ملتهب .

زكاة الفضل

ليس حيا من لا يشارك فى دنياه شتى إخوانه وذويه

شافيا جرح غيرهم ، كيف كادوه جهارا ، فكلهم كأخيه

إنما الحرّ من يرى لجميع الخلق حقا فى فضله ، كبنيه

هل ترى البخل بالمعونة إلا من لئيم ، أو فاجرٍ ، أو سفيهِ ؟

الحب قوة

ليس حبى ضعفا ، فأخجل منه بل فتاءٌ لصَبْوة وحنان

ويقينٌ منى بإسعاد قلب بل قلوب ، فى نعمة وصيان

صولةُ الأقوياء فى خدمة الضعفى ، وبأسُ الرجال حصن الحسان

وغنى الأغنياء ، إن لم يكن عون المساكين فهْو للشيطان[1]

قومية إنسانية

قومى هم الناس طرًّا ، منذ أن خُلقوا حتى القيامة ، من بيض وسودان

هم أهل ودى وإيثارى ، وهم رحمى ومن دمى دُمهم فى كل ميدان

وكل من ولدتْ حواء فهو أخى وليس حسبُ بجار بين جيرانى

من لا يجدْ كل إنسان أخاه ، ولو تسايفا ، فهو حقا غيرُ إنسان

---

(١) المعنى أن اموال الأغنياء اذا لم تكن فى خدمة الفقراء للتوسعة عليهم فهى مصدر شر وشقاء للطرفين ، ولكنها اذا كانت فى خدمة الفقراء كانت مصدر خير وسعادة للجميع ، ولابأس اذن فى التفاوت ولا غضاضة ، ولا حاجة كذلك لاكراه الاغنياء على البدل أو مصدرة كل ثرواتهم بقوة القانون أو السلطة ، لانهم — حينئذ — أشبه بالاوصياء على أموالهم ، منهم بالمالكين المطلقين الذين يتصرفون فيها وفق مايشتهون ، ومادامت أموال الأغنياء خادمة للفقراء فان الأولين لا يبطرون ولا يتسلطون ، والآخرين لا يتمردون ولا يعتدون .

حكم الضرورة

للضرورات حكمها ، غير أن السوء سوء فى رأى كل حكيم
ما استساغ القبيح من أجل أغلى غاية — قطّ — ذو خلاق كريم
نحن إن نهدر الحقوق لضرٍّ نلق فى الضر عذر كل لئيم
ليس يرضى حكم الضرورة أو يفرط فيه — غيرُ اللئيم البهيم

الحق أولى

لا المدحُ عيبٌ ولا الهجاء ما أحسن الناس أو أساءوا
وإنما العيبُ أن يُسمَّى السرابُ ماءً ، وليس ماء
قُلْ ما تعيه كما تعيه ولا يرَوعَنَّكَ البلاءُ
ولا تكنْ إمَّعًا ، مُناه أن يَتْبع الناسَ كيف شاءُوا[1]

عُشراء وأصدقاء

عُشرائى فى كل يوم يزيدو ن ، ولكن ما أندر الأصدقاءَ[2]
رُبَّ ألفٍ ممن أعاشر ، لا ألقَى صديقاً منهم يصون الوفاء
نُدرة الأصدقاء فى هذه الدنيا — بلاءٌ لمن يحب الإخاء
وهى ليست تطيب إلا بإخوا ن كرام يستعذبون الفداء

---

(١) الامع : الرجل يتابع كل احد على رأيه لا يثبت على شيء ، ومثله امعة .
(٢) العشراء : مفرده عشير ، وهو المعاشر أو الصاحب .

من يقل « إنهن أرحم منا »   فهو ـ لا شك ـ جاهل بالنساء

هن أحنى منَّا وأرضى وأشفَى   لبلا يا القلوب بالأهــــواء

غير أنا أوْعَى وأحفظُ للو   د، وأرْجى لنُصْرة وفداء

هن للأقرباء أرعى، ولكن   نحن للأقرباء والبعـــداء[1]

وحدة الوادى

هل أرى النيل موطنا واحدا، يلتـــفُّ أهلوه حول فَرْد لواءِ ؟

يتلاقى أبنـــاؤه فى إخاء كتلاقى مياهه فى وعاءِ ؟

وعليهم منهم عدُولٌ أولو عقـــل يرون الشورى سبيل الولاء ؟

لا يبالون فى التناصر إلا الـــحقّ فى الأقرباء والبعـــداء ؟

لين بشدة

إذا ما رآك الناس سمْحا تنمّروا   عليك، وغالَوْا فى أذاك بلا ذنب

فأظهر لهم بأسا يصدُّ شرورهم   ويغريهم بالسلم فى الجهر والغيب[2]

وإنك إن تمحضْهم الخير يفسدوا   فيُؤذوك، أو يؤذوا سواك من الصحب[3]

ولكن إذا ما شُبْتَ لينا بشدةٍ   أقمت لهم قَصْدَ المسير على الدرب[4]

---

(١) معظم رعاية المرأة مقصورة على أقاربها، ولكن رعاية الرجال شاملة .

(٢) البأس : الشدة والقوة .

(٣) المحض : الصافى الخالص ويمحضهم الخير : يعطيهم اياه صافيا .

(٤) شاب الشئ بغيره : خلطه به، والمضارع يشوب .

الحياة والموت

إذا كان خَلق المرء أعظمَ نعمةٍ ... فأعظمُ شر موتُه بعدَ إذ كانا

فهلا خلَدنا ، أو تُركنا فلم نكن ، ... وبالخلْد أو بالترك ما كان أحرانا

ألفنا أذى الدنيا ونعمتها معاً ... فعزَّ علينا أن نفارق دنيانا

ولولا هواها ماشكونا فِراقَها ... وما كان أغنى اللهَ عَنا وأغنانا(1)

داء وأدواء

كيف الفلاح لعُصْبة ، ساداتها ... لا يعرفون سوى الصرامة رائدا ؟

ملأ الغُرورُ نفوسهم ، فاستكبروا ... أن يستشيروا فى المآزق راشدا

وإذا أشار مجرب بهداية ... كبتوه ، واعتقدوا النصير الفاسدا

أأعدُّه بين الأطبة من يرى ... لجميع أدوائى دواء واحدا ؟

إلى زوجة صديق

إن تشائى أُخوَّتى فهو ما أر ... جو ، وهيهات أن أخون صَديقا

من يخن أصدقاءه فى ذويهم ... فهو نذل وإن يكن صِدِّيقا

فاغنمينى أخا ، وإلا فإنى ... لن أرى لى إليك - بعدُ - طريقا

إن حزّ الحلقوم أرحمُ من خو ... ن صديق عندى ، وأهون ضيقا

---

(1) محبتنا للدنيا وإلفتنا لها هى سبب تعلقنا بها ، وحرصنا عليها ، وخوفنا من الموت فراقا لها ، ولولا محبتها لم تألم لفقدها ، ولما فزعنا من الموت ، فالحياة أشبه بالعادة ، وللعادة سلطانها القاهر على النفس .

زوجة العبقرى

أتعسُ العالمين فى العيش زوج عبقرى لزوجة رعناء

همُّهُ غير همِّها ، فإذا ما طار سدت عليه باب السماء

ثم هاضت بالقارعات جناحيه ، وشدت رجليه بالغَبراء(١)

وتولَّته بالمكاره ، حتى لا يرى غيرها حليفَ ولاء

أصل الإنسان

قالوا : «من الطين أنتم» وهو ـ وقد علموا لا شك ـ يُنبت أزهارا وأثمارا

ما أصلُنا نحن إلا عنصرٌ دنس مازال فينا بفعل السوء أمَّارا

هيهات للأرض طهرٌ من خبائثها حتى ترى غير هذا الناس عُمَّارا

فليت طوفان نوح لم يذر أحدا منهم على الأرض أشياخا وأغمارا(٢)

نحلة وزهرة

ولولت ــ حينما رأت نحلة تد نو إليها ــ لفَرْط جُبن وضعفِ

قلت : « عذرا لها ، فإنك كالزهـ ـرة فى بهجة وحسن ولطف

إنها النحل مولعات بِنَضْرِ الز هر ، ترْتاده للثم ورشْف »

فأجابت « ويلاه ، أنت عدُوى أنت تبغى بالسم سقمى وحتفى »

---

(١) هاض جناحيه : كسرهما ، والقارعة : الداهية . والغبراء : الأرض .

(٢) يذر : يترك . والاغمار : مفرده غمر (مثلث الغين) وهو من لم يجرب الامور .

الجمال الضائع

إن الجمال لَـنُعمَى ، ليس يَفضُـلها   فى الـكون كنزٌ ، ولا يُغنى بها بدلُ

لو كان يعبَـدُ مخلوق لحقّ له   منـا العبادةُ والتسبيح والـقُبَـل

فصار كل جميل بيننا قدُسا   تهدى الحـُلِىُّ له والطيب والحُـلل

لكنْ جميلاتُنا ضيعن حرمته   بالابتذال ، فأغثى وهو مبتذل

الأحلام المحرومة

ربّ ، حتى الأحلامُ أُحرَم فيها   متعتى بالهوى ، كأنىَ صاح !

إننى قد حصنت فى الصحو نفسى   وتعفّـفت عن لقـاء الملاح

ثم طهرّتُ نِيـتّى وخيـالى   من خبيث الأعراس والأفراح

ثم هــذا أنا ، ضميرى يأبَى   فى منامى ما ليس لى بمباح !

الأحق بالبكاء

أو تبكى من أفنت الحرب منا ؟   ويحك ، ابك الباقين فى الأحياء

ليت أحيــاءنا تولـّوْا كموتا   نا ، إلى غيب حفرة ظلماء

فاستراحوا من خزيهم ، وأراحوا   من مخازى الحياء أهـلَ الحياء

كلُ حرٍّ هنا شجٍ ، كحبيس القـــبر بين الرمائم الشــوهاء(١)

---

(١) شجى بالشىء (كرضى) فهو شج ، والشجى اى المشغول بالشىء ، والرمائم مفردة رميم، والعظم الرميم هو البالى ، والشوهاء : القبيحة المنكرة .

في العزلة

لست وحدى ما دام عقلىَ يمضى ... بى ــ خلالَ الوجود ــ عُلْواً وسُفلا
تارة يرصُدُ الطبيعة من ظهــر لبطن ، وتارة يتملَّى[1]
أوْ يرى الناس بين ماضٍ وآت ... ويجوب التاريخ فصلا ففصلا
عزلتى هاهُنا ــ بعقلى ــ أجدى ... من صحاب الفراغ حالا ، وأحلى

سؤال بلا جواب

ربِّ ، يا فاطر القلوب ، تباركـــتَ ، أمَا لِى على سؤالٍ جوابُ ؟
قد بلغت الخمسين ، لكنَّ قلبى ... لم تزَلْ فيه للغرام رِغاب[2]
وحياتى ــ بلا غرام ــ مَواتٌ ... وحياتى ــ مع الغرام ــ عذاب[3]
كيف لى بالخلاص منه ، مع استبــقاء عيشى خصباً كأنى شباب ؟

مصاهرة متفككة

هيهات ، ما أنتمُ منى ، ولست أنا ... منكمْ ، وإن قام فينا الصهر والولدُ
من ليس يجمعهم رأىٌ ولا خلقٌ ... فليس يجمعهم ــ لو ضمهم ــ جسد
لا قرَّب الله دارى من دياركمُ ... ولا حوانا معا ــ فى لحظة ــ بلد
بينوا بلا رجعة ، قد عِفْتُ قربَكمُ ... وكلَّ دارٍ بها من رهطكم أحد

---

(١) يتملى الشىء : يتمتع به ، أو يتمتع منه .
(٢) الرغاب وأحدها رغبة .
(٣) الموات : لا روح فيه ، والأرض الموات لا صاحب لها يزرعها فتقفر .

مكانة الحق

ما أضيعَ الحقَ فى الدنيا ، وأبغضَــه إلى النفوس ، وإن دارته أحيانا

كلٌ يكيد له ؛ ما لم ينله أذى من كيده ، مُعجَبا بالـكيد ، جذلانا

وحظه حظ أهليه ، فإن عظموا يعظمْ بِهم ، وإذا هانوا همُ هانا

الحقُّ ـ أعزلَ ـ لا ترعى كرامتَـه فإن تسلَّـح دان الإنس والجانا(١)

الجهاد فى الحق

أبرز سلاحك ، وانهض للجهاد ، ولا تبالِ مَن جدَّ فى سـعْى ومن هزَلا

ولا تساوم على حق نهضت له رَغْـبا ورَهْـبا ، ولو أسنَوْا لك البدلا (٢)

فإن كل امرىء رهنٌ بهمتـه ومن يهبْ غيرَ حق لا يكنْ رجلا

والناس أجهل من أن يكرموا ليدٍ حرا ، وألأم من أن يرفعوا بطلا

التحدث بالنعمة

لا تحــدِّث بنعمــة الله قوما حُرموها ، فيحسدوك عليها

وتثيرَ الأحقاد فيهم ، فلا يرضوا جزاء حتى يُعرُّوك منها

حَسْـبهم ـ غُصةً بها ـ ما ترى أعينُهم فى الخفاء طوعا وكَـرها

أن يكون الإنسانُ ذا نعمة ـ جُرمٌ يســدُّ الغُـفْـران عنه وعنها

---

(١) أعزل حال منصوبة من الحق ، واقعة بين المبتدا وخبره ، والاعزل من لا سلاح له ، والمعنى أن الحق فى حال عزلته لايلقى من الناس احتراما .

(٢) أسنى البدل : رفعه وأغلاه .

ساء نفسا ، فساء قولا وفعلا وأحل الحرام فيما استحلا
وإذا ما الشكوك عشّشن في صدر ، فلا تنتظر سوى السوء نسلا
نسلُ سوءٍ يطغى ويفتك كالطا عون ، إن لم تئده في المهد طفلا
فإذا المرء ساء نفسا ، فهيهات سوى السوء أن يرى ، حيث حلّا

ضريبة الاحرار

ألا عجبا ، أبكي لغيري إن يصب ولو كان خصما بالأذى يترصّد
وإن نابني خطب تماسكتُ صامتا كأن لم أُصب ، من فرط ما أتجلد
وهل يستريح الحر ، والناس حوله حزانى ، وطبع الحر برٌّ وسؤدد
قضاء على الأحرار جهد حياتهم لكي يُسعِدوا من حولهم ، لا ليَسعَدوا

كيف بالخلد ؟

تُسمي ابنها «خالدا» فألاً ، وكيف له بالخلد دهرا ، وكل الخلق للعدم
لولا الحماقة في أعماق طينتنا صمنا عن النسل ، بل عن أهون الطُّعم
والناس عِلْيتهم حمقى كسفلتهم فهم من البَهْم ، بل شر من البَهَم (١)
لم تغنِ عنهم عقول يشمخون بها إلا التعبُّد بالأوهام والتُّهَم

---

(١) البهم (بسكون الهاء وفتحها) الصغار من أولاد الضأن أو البقر ونحوها .

شقاء البشر

أبناءَ آدم ، ليس يُصلح شأنَكم غيرُ السياط ، أو السيوف البُتّرِ (١)

لو كنت ربًّا مابعثت لأمركم غيرَ الجبابرة الغِلاظ الفُجّر

وأَبَيْتُ بعث الأنبياء ليُقتلوا أو يُرجموا فيكم بغير تدبر

يكفى فلاحُ الأنبياء لهديكم آيًا على الله الحكيم الخيّر (٢)

هى وكلباها

أألثم ثغرا قد بذلتِ رحيقه لكلبيك ، كيما ينعما بجَناك (٣)

تضمين هذا ثم هذى ، كأنما هما ابناك ، إذْ خُصَّا بكل هواك

زعمتِهما ابنيك العزيزين ، بعدما قضى ابناك ، واختار الشريكُ سواك

ودارُك ما فيها أنيس سواهما إذن فهنَاكِ المؤنسانِ هنَاك (٤)

لست بعض الكلاب

كيف لثمى فمًا يقبِّله كلبا ك مما أثار سوء ارتيابى

إن حبَّ الكلاب آيةُ نبل وسموٍّ فى العقل والآداب

غير أن الوُلوغَ والكلبَ فى كأ س دليلُ الإخاء فى الأسباب

فإذا عِفْتُ ـ يا شقية ـ مَثْوا ك فعُذرى أنْ لستُ بعضَ الكلاب

---

(١) البتر جمع باتر ، وهو القاطع ، وعلى وزنه الفجر جمع فاجر .

(٢) فلاح الأنبياء فى هداية البشر أو بعضهم دليل على وجود الله وحكمته وخيريته ، فالانبياء منذ يبعثون ـ بل قبل البعثة وبعدها حتى الموت ـ يعيشون فى جهاد مع البشرية من اجل هدايتها الى مصلحتها ، ويشقون لسعادتها ، ولولا « وجود » قوة لدنية تدفعهم الى هذا الجهاد ، وتحببه اليهم وتهون مصاعبه عليهم لآثروا السلامة والراحة على الشقاء والعداء ، واختيار كائن فاضل من البشر لهدايتهم دليل على حكمة مرسله ، وعلى خيريته معا ، فعنايته بهم دليل خيريته وحسن اختياره ثم وفاء ذلك بمقصوده هما دليل حكمته .

(٣) جنى الشجرة : ثمرها .

(٤) هناك : هنيئا لك

عجب بلا سبب

ألهتم ساداتكم ، وعجبتمُ من ظلمهم لكمُ ، وهذا أعجب
إن التسلُّط مُفسد ، فإذا مضى طلقا يبالغُ فى الفساد ويُغرِب[1]
كيف الفلاح لعصبةٍ ، فى أمرها لا استشار ، ولو تولاّها أب ؟
الحق لا يبدو بغير تلاحم بين العقول كما ترى وتهذِّب

سحر الفن وفن السحر

«مؤمنٌ أنت أن ثمّة سحرا ؟» قلت : « بالسحر كله إيمانى
كل شىء فى الكون سِحْرٌ ، جلاه الله فنًّا ، إذ شاء خلْق الزمان
وهل السحرُ غيرُ ما يبدع الفـ ـنُّ ، وهل ساحرٌ سوى الفنان ؟
وهل الكونُ كله غيرُ فن ساحرٍ فى الشكول أو فى المعانى ؟»

شمائل خليفة

ظنوا التواضعَ بى هُونا ، وما فطِنوا إلى حياء بصدق العزم مقرونِ
«خليفةٌ» ملءُ جلدى ، فى تورُّعه وعزمه ، لم يدَعْ تيها لمفتون
لم أزْهُ يوما على أدنى الورَى بَطرا ولا انحنيت لسلطان على هُون
وما رأيت صغيرا قطُّ يَصغُرنى ولا مُمَلَّك إلا خِلتُه دونى

---

(١) من كلمات اللورد آكتن « السلطة مفسدة ، والسلطة المطلقة مفسدة مطلقة » .

أصحاب منافقون

نبلتمونى ، فطاشت نبلـكم ، ونجت روحى ،ولولم تطش لم تنجُ لى روح[1]

حتى إذا ضاق صدرى من شروركم برئت منكم ، وقلبى ـ بعدُ ـ مقروح

وكيف أرضاكمُ من بعد غدركمَ بى، والعداءُ ـ وإن تخفوه ـ مفضوح ؟

بحسبكم أننى لم أجز سوءكم بمثله ، فأسرّوا الحقد ، أو بوحوا

ستر العيوب

لا تُشَهِّرْ بما ترى من عيوبٍ ليس يبدى العيوبَ غيرُ المعيبِ

وتساءلْ : هل أنت من مثلها خلـ ـوٌ ، أحاولتَ برءها كالطبيب؟

أنت عن كل من يحيطك مسئو لٌ ، وحقّ الغريب مثلُ القريب

حسبك النّجح إن تحاول وتنجح واجترارُ الآلام عند الخيب

تعاسة الفلاحات

أفمصرُ الفلاح يرضىَ لفلاّ حاتنا لعنةَ السنين العِجافِ ؟[2]

لهفَ نفسى، هزلْنَ جوعا وكدْحاً ضامراتِ الثّدِىّ والأرداف[3]

موميات يسعْين فى طرق القر ية أو فى الحقول كالأطياف

كاسفاتِ الوجوه، فى اخلِرَق السو د ، كبالى الأكفان،دونَ كفافِ[4]

---

(١) نبله : رماه بالنبل وهى السهام ، وطاشت : لم تصب الهدف .

(٢) العجاف : مفرده عجفاء ، وهى الهزيلة .

(٣) هزل (بفتحتين ، أو ضم فكسر) صار هزيلا ، والثدى مفرده ثدى ، والارداف مفرده ردف .

(٤) البالى ، القديم : والكفاف مايسد الرمق .

تونس

تونسى « تونسَ » الحبيبَـة شطرٌ أنت عندى، وسائر الكون شطرُ (١)
بل أعزُّ الشطرين أنت على قلـ ـبى ، وأبهاهما ، وإن لام غِرُّ
فإذا ما سلمْتِ طابت لىَ الدنيـ ـا ، وإن كان عيشُـها لا يسرُّ
وإذا ماشقيتِ لجَّ بىَ الكَرْ بُ ، وإن كنتُ فى النعيم أقرُّ

نحنُ وهُنَّ

كيف الحياةُ مع النساء أو الحياةُ بغيرهنَّهْ ؟
لا ويلَ يعدِلُ لؤمَهن ، ولا نعيم كجودهنَّهْ
فإذا جفوْنَ أرينَ في الدنيـا الجحيم لصحبهنه
وإذا عطفْنَ أرينهم فيها الجنانَ بجمعهنه
وجفاؤهن كعطفهن وساوسٌ من عفوهنه
فلقد يَفين لخصمهن ولا يفين لأهلهنه
ولقد يخُنَّ نفوسهنَّ ووُلْدهن لحمقهنه
يا ويلتا من بُعْدهن ، وويلتا من قُربهنه (٢)

---

(١) تونس : قرية الشاعر ، وهى من اقليم « سوهاج » فى قلب صعيد مصر .
(٢) استعمل الشاعر هنا البحر الكامل بزيادة « تفعيلة » فى كل شطر ، فصار البيت ثمانى تفعيلات لا ستا ، وهذا امر مألوف فى بعض الشعر الفارسى .

تبذل النساء

قلن لى ، يا بنات حوّاءَ ، واصْدُقـ ـن ، وما الصدق من حِلى النسوان

« لم كشف الأبدان صَدْرا وظهرا بعد كشف الرءوس والسيقان ؟

والتغالى فى الابتذال وراء البِـ ـدْعِ حرصاً على رضا المُجّان(١)؟

لهف نفسى ، هُنْتُنّ فينا — مع الفتـ ـنة هُونَ الإماء فى العُبْدان(٢)

بَرَكةُ الحب

إذا ضقتَ يوما بامرىء فأحبَّـه وأحسِنْ إليه تغتفرْ كلَّ ما يجنى

فلم أر مثلَ الحب للعيب ساترا وللذنب سَتَّارا ، وإن كلَّ من وَهْنِ

ولو أن فى قلب من الحب ذرةً إذنْ غفر الأخطاءَ للإنس والجن

وباركهم فى سوئهم وصلاحهم كما تتحنى الأمُّ فى حُبها لابْنِ

شكاوى ظالمة

شكا الحياةَ بنوها ، ظالمين ، ولم تبخلْ بخيرٍ هُمُ أهْلٌ لمَجْناه

ما دأْبهم غير دأب الطفل : يطلب ما يهوَى ، وإن كان شرا ما تمناه

ويَشْرئبُّ إلى ما ليس فى يده ويزدَرى ما بها ، جهلا بمعناه

هى الحماقةُ فى الإنسان ، ما برحت تُعميه ، والخيرُ أعلاه وأدناه

---

(١) البدع : الاول من كل شىء ، والمجان : مفرد ماجن .

(٢) الاماء مفرده أمة ، والعبدان مفرده عبد .

ليلى ونهـــارى

ليـلى لربىَّ وأسفارى وأوراقى   لـكن نهارى لأصحابى وأرزاقى
الليلُ ـ إنْ طافَ ـ يُلْـفِينى بمـكتبتى   كراهب الدَّير قوَّاما على ساق
أتلو ، وأكتب ، أو أدعو بملء دمى   حتى يميلَ كَرًى رأسى وأحداقى
وأسبق الديكَ صحوا ، كى أعود لها   حتى الصبَاح ، فأسعى بين آفاقى

المحبة كالعبادة

أنا لا أخون ، ولست أر   ضى — فى المحبة — أن أُخان
إن المحبـــة كالعبا   دة ، للـكرامة والصيـــان
كلتاهما ليسـت تصـــحُّ   على التصنـــع والدِّهان
فإذا عجزت عن الأما   نة فالفـــراقُ هـــو الأمان

بين الحقيقة والخيال

هذى الحقيقة فى يديك معـدَّة   فلتجن من ثمراتها ما ترغب
انهضْ ، لتجنيها ، وإن تك مُرة   إن المرارة ـ حين تؤلَف ـ تعذب
واترك ضلالات الخيال ، فإنها   صُوَرٌ تشوقُ ، فحين تُطلب تَغرُب
لا يخدعـنَّك والحيـــاة حقيقـةٌ   أن الخيال من الحقيقة أرحب

شكوى إبليس

ما ألأم الناس ؛ يجنون الذنوب على ... عمد ، وعذرهم « إبليس أغوانا[1] »

كأنما هم أولو طهر بعنصرهم ... وعنصرى مثقلٌ بالشر إيقانا

تَعساً لهم ، نحَلُونى كلَّ ما أثموا ... فهوَّنوه ، وزادوا السوء بهتانا[2]

هل كان آدم أوْ حواء فى خلق ... إلا غويين مقبوحين مذ كانا[3]

أوفى الأحباء

سوى أبويكَ ما لكَ من محبٍّ ... يفى لك ، إن قربت ، وإن نأيتا

تهون عليهما الدنيا فداءً ... لتسعد ، إن أطعت ، وإن عصيتا

فلا يخدعْك طيبُ وصال أنثى ... ولا خِلٌّ يفى لك ما اغتنيتا

فإن تحتج إليه جفاك غدرا ... وحسبك عثرةٌ ليراك ميْتا

حكم الضرورة

هل أرتضى الضَّيْمَ ممَّن لو يُجَاورنى ... أساءنى أنه لى حين ينتسب؟

لا يحفل العارَ فى قول ولا عمل ... حتى يُصَبَّ على أطرافه الوَصَب

فإن جهلتُ عليه مكرَهاً حنِقاً ... فمثل دفعى لذئب هاجه كَلَب

وللضرورات أحكام تسوغها ... وللبقاء أساغ الميتةَ السغَبُ[4]

---

(١) أى أن الناس يذنبون عامدين ، ويتهمون ابليس بأنه أغواهم ، كأن ذلك كاف فى اثبات أنهم بريئون .

(٢) نحلونى : نسبوا الى زورا ، والبهتان : الكذب . أى ان الناس لما اخطئوا نسبوا خطاياهم الى زورا ، ليستفيدوا اثبات براءتهم وطهارة عنصرهم وأعمالهم ، مع انهم وقعوا فى خطيئتين جديدتين : احداهما تهوين الذنب على أنفسهم فأبقوا عليه ، والخطيئة الثانية أنهم أضافوا الكذب على ، وكل هذا شجعهم على معاودة الخطايا .

(٣) غوى : خاطىء عاص : ومقبوح : منسوب الى القبح ، وآدم وحواء رمز للاصل البشرى

(٤) تسوغها : تبررها وتسهلها . السغب الجوع .

العمُّ المحروم

غادةٌ في الشباب لو راهب شيخ رآها لحنّ نحو الشباب
بعثت في دمى الرغاب ، فلما أن دعتني « ياعمّ » شُلّت رغابي (١)
ليت شعري : أأخطأت أم أصابت حين سدت - بكلمة - كل باب؟
وأرادت أم لم ترد ذاك سدًّا ؟ ولفضل يزينني أم معاب . . ؟ (٢)

فتاة

غضّة بضّة إذا لمست لا نت كأنْ كُوِّنتْ بغير عظام
تتهادى تيها كشعلة نار داعبتها رواقص الأنسام
أو كطيفٍ من عالم الجنّ يغري ناظريه بأعذب الأحلام
إن بدا أسلموه أنفسهم طو عا ، سكارى بسحره كالمدام

تجربة واحدة

ما حمدنا الحياة إذ نحن فيها فعلا م الآمال في وصل أخرى ؟
إن تكن تلك مثل هذي جهادا تكُ بالرفض من ذوى العقل أحرى
أو تكن راحةً فراحةُ أحجا رٍ عداها الشقاء والسعد طرّا (٣)
فلنمت دون حسرة ، وكفانا أن نذوق الحياة في الدهر مرّا (٤)

---

(١) الرغاب : واحدها رغبة ، ومن عادة الناس في بلادنا أن ينادوا من كان كالآباء أو أكبر سنا بقولهم « عمي » أو « خالي » وكذلك ينادون النساء « خالتي » و « عمتي » .

(٢) المعاب : العيب ، والمقصود بالمحذوف « أم معاب يشينني » .

(٣) أي اذا كانت الآخرة جهادا كالدنيا ، فلا حاجة بالعاقل اليها ، لأنها امتداد للبلاد ولو من نوع جديد ، واذا كانت راحة ناعمة تامة فحياتنا فيها كحياة الجمادات لايحس معها بشقاء ولا سعادة .

(٤) مرا : أي مرة واحدة .

الحب مهلكة

يا بنىَّ ، الحبُّ مهلكةٌ كل حرب دونه خطرا
هازم فيه كمنهزم لا ، بل المغْلوب من ظفرا[1]
بؤسه يُردى ، وأنعُمه إن توالت تعقب الضجرا
كم عروش مسّها فهوت ونفوس أزهقت هدرا

لم الفخر ؟

لا يفْخرنَّ ــ لجهلٍ ــ سيدٌ بطرٌ بأصله ، غافلا عن كل ميزان
فإن للناس أصلا واحدا جُبلوا منه ، وليس لهم فى البدءِ أصلان
قد أنجح الجدُّ منهم حظّ من سهروا ولم يُصب نائموهم غير خُسران
فمن أراد فخارا مقنعا ــ فبما أصابه هو من فضل ورُجحان

خطر المجرِّبات

ليس همى ــ وأنتِ سنًّا كأمى ــ غير حب الأوانس الغافلات
أنت أدنى جنىً ، وأعرف ، لكنى أخشى خدائع العارفات
وشريكُ الضلال أدنى إلى النفس من الراشدين والراشدات[2]
فانصُبى فتنةَ الكهول لغيرى ليس يصبو قلبى لغير فَتاة

---

(١) الظافر فى الحب هو المغلوب ، بعكس الحرب فالظافر فيها غالب .

(٢) الانسان ــ طبعا وعادة ــ يأنس بمن يشاركه فى همومه ولو على ضلال ــ اكثر من انسه بالخالى منها ولو على صواب .

أينَ الصديق ؟

أين لى بِامرىء إذا أنا أحسنـــت إليـه أمِنْتُ سوءَ الجزاء
إننى لو كسبته لـكفانى حاجتى فى الحياة للأصدقاء
فى فؤادى حبٌّ أريدُ له أهـــلا ، لأسعى له به عن سخاء
أنا أصبو إلى صديق ، ولـكن أين لى بالـنَّبيـل من خلطائى ؟

سعادة وهمية

طهِّرْ فؤادك مِمَّا لا يليقُ به واصْـمُتْ مع الناس عن صدق وعن كذب
فأحـكمُ الناس من أخفى فضائـلَه وسار سيرتهم فى الجد واللعب
وعاش كالطيف لا يدرى به أحدٌ إلا أودّاؤه الأدنَوْن عن كَثَب
ذاك السعيد ، ولـكن ما لحـكمته جدوى ، سوى أنه فى العيش كالنُّصُب (١)

ولائى

لمن ولائى ، إذا فيه الورى اختصموا إلا لقومى ، وقومى الناس كلهُمُ
لـكن بَنُو مصر أرضى لى وألصق بى فهم أحب إذا ما جاشت الأمم
ومصر دار جدودى ؛ أرضَها زرعوا مدى قرون ، ولو من غيرها قدموا
والعرب رهطى ، ولو لم يتصل نسبى بجدهم ، أو جرى للترك فىَّ دمُ (٢)

---

(٣) السعادة ـ على النحو الموصوف هنا ـ عقيم ، لأنها سلبية ، فهى أشبه براحة الاحجار ، ولا شىء فيها من الحكمة ، والسعادة البشرية الحقيقية تستلزم قدرا من الفلاح ، ولا فلاح بلا جهاد ، ولا جهاد بلا هناء : والانسان لا ينمو ولا يعظم بغير أن يؤدى وظائفه الحيوية ، وفى ذلك مافيه من المشقة .

(٤) يقال ان الشاعر ينتمى من ناحية أبيه الى الادارسة من ولد الحسن بن على بن أبى طالب ، ومن ناحية امه يجرى فيه دم تركى .

الاحترام المزهود

رب احترام أُلقَّاه ، فيسخطنى ... أن ساقه رَهَب ، أو قادهُ رَغَب

أو كان موردُه مالا يشرفنى ... فى ذات نفسى ، ولو سِيقتْ لى القُرَب

ورب قولةِ سوءٍ فىَّ ، تِهت بها ... من حاسد أو لئيم مالَهُ أدب (١)

والمدحُ كالهجوِ لغوٌ ، أو يؤيِّده ... من فضلِ صاحبه أو نقصِه سبب (٢)

الألقاب العلمية

لا تخدعنك ألقاب يتيه بها ... فينا الصعاليك من أهل الإجازات (٣)

ما حظهم من علومٍ يهرفون بها ... وإن علَوْا غيرُ حظ الببغاوات

عَمىً لهم سُرُجٌ ، ضلوا الطريقَ ، فما ... جدوَى سراج لأعمى فى المتاهات؟

لهم عقول كأن الله افقها ... من الغرور وأشتات الحماقات

الأكاديميون أو الوراقون الجدد

قد ادعى العلم ورّاقوه ، واحتكروا ... دعواه بَغْياً ، بلا خوف ولا خجل

وغفلةُ الناس قد أملت لهم ، فمَضوْا ... فى بغيهم قُدُما ، بالغش والدجل

حفظ العناوين والأسماء سِلعتُهم ... فهم فهارسُ لم تبرأ من الخلل

العلم وعى وتوليد وتجربة ... لا الحطب فى الكتب ، للتشقيق والجدَل

---

(١) شهادة الحسدة واللئام ضد انسان دليل على فضل فيه أثار حسد الأولين ، ولؤم الآخرين ، واذ خلا المرء من فضل الم يثر حسدا ، واذا كان على نقيضه تعصب له أمثاله من الناقصين ، وكلما عظم المرء كان أكثر تعرضا للحسد ، وعدم الانصاف ، ومعظم الناس لايحسنون تقدير العظماء ، ولكن تقديرهم للصغار سهل ، القربهم منهم فى المزايا والهموم .

(٢) كل حكم لا دليل عليه فهو الغو ، فمدح الانسان بلا اثبات فضيلة اله كهجائه دون اثبات عيب عليه .

(٣) يخلط معظم الناس — حتى المتعلمون — بين الحصول على الشهادات الى اعلاها ، وبين المواهب الفطرية : فالأولى جهاد وتحصيل ، والثانية فطرية ذاتية ، والجامعات تخرج كل عام آلاف الحاصلين على درجاتها ، ولكن الموهوبين منهم آحاد .

فى الأكاديميات

أتطلب «دكتوريةً» غيرجاهد لتعرف فينا بالنجابة والفضل ؟
إذن ، فتملَّق للاساتيذِ دائباً وكن لهُم كالعبد فى الجد والهزل
فلا علمَ يُغنِى أهلَهُ فى ديارهم وإن يَكُ وحيا،أوتكن أنت فى الرُّسْل
ولا العبقرياتُ العلا إن جمعتها تنالُ سوى الأحقاد منهم ،مع الجهل

جامعاتنا

فى كل أرضٍ تقوم الجامعات على تخريج نشء صحيح العقل والأدب
إلا لدينا ، فإن الجامعات غدت مهد الغرور ،ومرْ بَى اللغوِ والشغب
فنشْؤُها ببَّغاواتٌ تثرثر ، لا تدرى سوى نُبَذٍ جوف من الكتب
ظنوا الإجازات تعليهم ، وقد هبطت بهم ، وما البهرج الخداعُ كالذهب

الزيف هنا وهناك

الزيف فى كل أرض لا تروج له سوقٌ بغير فنون الجُهْد والحِيَل
وليس يقبَلُه إلا بقيمته شارٍ ،على خِبْرة بالغِشّ والدَّجل
إلا لدينا ، فسوق الزيف رائجة جهرا ، بِلاحيلة تُرْضَى،ولا خجل
الحق مضطَهدٌ فينا ومنتبذٌ والباطل الفُسْلُ خِلٌّ مُكرم النزُل

آنا وتلاميذى [1]

أرانى - وطلابى العزاز بمحضرى - أبًا فى بنيه ماله - غيرُهُمْ - همّ [2]
حريصا على مَرْضَاتهم وفلاحهم وإن لم يُعنى منهم الفهم والعزم
كفانى غُنْماً أنسهم بى، وبوحهم إلىّ بما لا يعلم الأب والأم
أراهم بدارى آنسين ، وحيثما رأونى، وهل يغنى عن الألفة العلم؟ [3]

فى مهنة التدريس

ما إن خُلقت لتأديب الصغار ، ولا حلّ الطلاسم من علم ولا أدب
وإن تكن همى فى مهنتى بلغت أفْقا يعزّ على عشاقه النُجُب
فإن تقصّر جهودى بى أعشْ ملكا نفساً، وإنْ عشت كالصعلوك فى النَّشب
حسْبى يقينى بأنى لا أرى أحدا أعزّ منى فى نفسى ولا حسَبى

تدريس وتدريس

أكل حظى من الدنيا بما رُحبت شرحُ الدروس، وإصلاح الكراريس
انعم بها خِطةً فى فتْية رشدُوا فى العلم ، لا بين صبيان مفاليس
ما خُنتها قط ، أوْ آثرت لى عملا يومًا سواها ، وإن أشقت نواميسى
لكن شكواى أنى لا أرى أُفقاً رحْباً يفى بى إذا فاضت قواميسى [4]

---

(1) يعمل الشاعر منذ تخرجه فى التعليم حتى الآن ، وهو من أكثر المدرسين مريدين بين طلابه ، وهو يعتز بهم كما يعتزون به .

(2) العزائز مفرده عزيز ، ومرضاتهم : رضاهم .

(3) مهما يكن الاستاذ من العلم لاينتفع طلابه بعلمه ، حتى يألفهم ويألفوه ويخالطهم ويخالطوه ، فترتفع بينهم حجب الكلفة ، وهذا معنى أن علم الاستاذ لايغنى عن أن يألفه طلابه .

(4) القواميس : واحده قاموس وهو البحر .

مقال الناس

أنا أدرى بمن أنا ، فليقل من شاء ما شاء ، لستُ رهنَ مقال

إن يكن صادقاً حمدت له الصد ق ، وإن عابنى ، ورام قتالى

وإذا كان كاذباً فعليه وِزْرُه لاعلىَّ ، فى كل حال

من يعلق أقداره بكلام النا س يسقط فى حَيْرة وضلال

الرضا بالكفاف

رضيت الكفاف صِياناً لوجهىَ أن يُستذَلَّ ، ابتغاء الثراء

وعِشت بنفس أميرٍ ، وزِىٍّ فقير ، أعانى صنوف البلاء

فما إن بَرِمْتُ لليل الدياجى وما إن بَطِرْتُ لصبح الضياء

ومن يَكُ مثلى قوياً حييا يعفَّ عن الذل والكبرياء

التعظيم المكروه

يعظِّمنى فى أعين الناس ناظرى ليعظُمَ بى ، تبًّا لهذى المآثر (١)

وقد زادنى فى عينه أنه يرى مكانى رفيعاً فى السراة الأكابر

يرانى بعينىْ غيره ، لا بعينه ونهجُ العمى صعبٌ كثير المعاثر

إذا لم يعظمنى لفضلى معظمٌ فلست أراه بين أهل البصائر

---

(١) للشاعر مكانة أدبية أكبر من مكانته الرسمية فى التدريس ، وقد لقى طول حياته التقدير الرسمى بحكم أدائه الواجبة فى عمله ، وكثير من رؤسائه وزملائه لايعرفون عنه الا هذا الجانب ، ولهذا يفاجئون حين يرون له عند الآخرين حتى الكبار مكانة أكبر ، هى المكانة الأدبية ، فيبدءون فى زيادة تقديره على الأساس الجديد الذى عرفوه له عند غيرهم ، ولم يعرفوه هم بأنفسهم ، ليستفيدوا من تعظيمه أمام الناس أن يعظموا أنفسهم بادعاء الرياسة عليه ، او المزاملة له وهذا هو التعظيم المكروه لأنه لايدل على معرفة صحيحة . (وناظر المدرسة يسمى المدير فى بعض البلاد العربية) .

حب الحياة

ماحبُّك العيش إلا آفةٌ كَمَنَت في غيب نفسك مثل النارفى الحجر
فلستَ تبرأ منها طالما نبضَت فيك الدماء ، ولو أُثقِلْت بالغِيَرِ
لولاهوى العيش لم تصبِرْ على كبد ولا تعزيت فى الخسْرَان عن ظفر
لكن من قدَّر الأحياء حصَّنهم به ، فلم يستبينوا حيلةَ القدر

حسبى من النعماء

يارب وفِّقنى لماتبتغى ووقِّنى شر النجاح السريع(1)
ولا تُضِعْ مسعاى فى طاعة نخيبةٌ المسعى بلاء مريع
ولا تَهبْ لى فوق وُسعى ، ولا قدرى،وإلافهو خَبْطُ الصريع(2)
حسْبى من النعماء حظٌّ ، أرى أنى له — من كل وجه — قريع

المساوة الظالمة

لاتهنىء أخاً على نعمةٍ حيزت لمن دُونه بأدْنى غناءِ(3)
بل ، بأن نال نعمة لم ينلها غيرهُ ، إذ سما على الأكفاء
فمن الظلم كلُّ عدلٍ يسوى بين من ليس فضلهم بسواء
وأَذلُّ النعماء مانال شِبْعاً منه كلُّ الأعلَين والأدْنياء

---

(1) النجاح السريع يعرض صاحبه للمخاطر أكثر من النجاح البطىء ، لأن الخيبة بعد الخيبة تزيد الخبرة ، ولهذا تمنع النكسة .

(2) كل نعمة فوق طاقة المرء فهى عبء عليه ، فهى تزيد فى شقائه لا سعادته .

(3) اذا زال امرؤ نعمة دون قدره لم يسر بها ، لأنها تذكره بما ناله من ظلم واهمال ، فلا ينبغى للعاقل أن يهيئه بها ، على حين أنه هو يحس بالتنغيص منها .

تهنئة مردودة

تهنئني أن نلت ما نال فوقه من القوم من لا يدرِ كون ترابي؟
ولو خيّروني فيهمُ ما ارتضيتهم توابعَ لي ، أو جيرةً لجنابي
عفا الله عما خلتنيه وخلتَ بي وشكرا ، وإن يثقل عليك عتابي
كبرْتُ ، فلم أشعر بلذة نعمة أرى أنها دُوني ، ودون ثوابي

بين الشباب والكهولة

حفظتُ شبابي، فاستراحتْ كُهُولتي وأجنىَ ليَ الخيرات من كل جانب (١)
فلما بلغت الأربعين وجدته يساير رَكْبي في جميع المذاهب (٢)
ولو أنني ضيّعْته لأضاعني وصِرْتُ عقيمَ السعي، جمَّ المعاطب
ومن يتأملْ في العواقب راشداً يَصُنْ نفسه من عاثِرات التجارب

حلّ مُشكل

أفقروا أغنياءهم ، ثم لم يغنوا فقيرا ، فكلهم فقراء
ثم زادوا الجميع فقرا ، وهاجوا السوءَ فيهم ، فعمت البغضاء
واستبدوا بأمرهم ، فانطوى كلٌّ على نفسه ، ومات الولاءُ
خال كلٌّ أخاه عيناً عليه ففشا الجبنُ بينهم والرياء

---

(١) اجنى الخيرات : أثمرها .
(٢) الركب في الأصل جمع راكب ، والمراد به النشاط . والمذاهب : الاتجاهات .

حقوق الشباب

سأعطى شبابى حظّه من رغابه ... ولو سامنى فى السعى خوضَ جهنم
أليس شبابا واحدا، إن أضعته ... أضعتُ حياتى كلها دون مغنَم؟
وأىُّ حياة المرء إلا شبابُه ... وهل فخرُه غيرُ السطا والتقحُّم؟
فأيامنا من قبله أهبةٌ له ... ومن بعده ذكرى كأحلامُ نوَّم .

رسالة الحب

حبُ يوم - يُجْدى من العلم والتهـ ... ـذيب مالا تُجدى قراءةُ عام
فاطرحِ الكتْبَ والتفكُّرَ فيما ... تحتوى — للجفاة ، أوللطغام
وانطلق فى الحياة ركضاً ... مع الحب ، بقلب يعجّ بالأحلام
ليس كالحب من معين على ... النجحِ وحسن الأخلاق والأفهام

نجوى

تباركت - ربى - هل بغيرك حيلةٌ ؟ ... إذا أظلمت نفسى ، وضاقت مذاهبى
وهل لى إلا نورَ وجهك مرشدٌ ... به أهتدى عند اعتكار الغياهب ؟
فليس بأدنى منك حولى وقوتى ... وليس بأحْنَى منك أمى ولا أبى
وليس بخافٍ عنك يُسرى وعُسْرتى ... وسرى وجهرى بَينَ شتى النوائب

الحسن المباح

لاأعشقُ الحسنَ حِلاًّ كالطريق، لمن يعتاده، غير ما باغٍ ولاعاد
لـكن رغيبةُ نفسى منه مُحْصَنة كالدار، أودِعها سرى وأمدادى(1)
عندى مقاليدها طرا، وليس لها فى كف هيمان غيرى أى مقلاد(2)
آوى إليها، فتصفينى مودتها وأصطفيها بأشواقى وإسعادى.

هَجر مُريح

فى حمى الله أنتِ، إن شئتِ هجرى فاذهبى، حيث شئت، فى غير إصْر(3)
من تَهنْ شِقْوتى عليه يهُنْ عنـدى، وأدنى الوعيد يُوغر صدرى(4)
لست أبكى فراق من ليس يبكى لفراقى، أو يستهينُ بقدرى
وليكن ما يكون إن وَجبَ الحسْمُ، وإن كانت الجحيمُ مقرّى.

مهابط الصعود

فى كل دار ينال الفضلَ طالبُهُ محلّقا بالحجا والفضل فى دَأبِ
إلا بدارى، ولا تفنى نقائضُها وكلُّ أمرٍ بها من أعجب العجب
فالمجد فيها نصيب الهابطين له غوصا إلى القاع، أو زحفا على الركب
ياويلها بلدا أعيت أطبَّتها فهُمْ من الطبِّ والتطبيب فى رِيَب

(1) الرغيبة : الشىء المرغوب . والأمداد جمع مدد .
(2) المقلاد : المفتاح ، وجمعه مقاليد .
(3) اصر : ذنب وثقل .
(4) الشقوة : الشقاء . واوغر صدره ، يوغره : غاظه واوقده .

معاطب الحب

أقلت « إنى حبها » ؟ فليكن قد يهزم الحب ، وقد ينتصر

الحب جبار ، ولكنه قد يهلك المحبوب عند البطر

قد تأكل الهرةُ أولادها فى الهول، إن خافت عليها الخطر

مقاتلُ الحب وآفاته كثيرة ، والأمن فيها غَرَر (١)

أسطورة الخلود

أيرجو خلود الذِّكْرِ فى الأرض ذو الحجا وكلُّ مَجَرَّاتِ الفضاء زوائل ؟

ملايينُ نالوا فوق ما نالتَ ، وانطووْا كأن لمْ يكونوا ؛ والحُظوظ دوائل (٢)

توالت ملايين القرون بأرضنا فهل نحن ندرى ما أفاد الأوائل ؟

وما الكون إلا كالرؤى لمصيره وتبقى وجوه الله ، فهى المَوائل (٣)

إباء

يسومنى الذل من لو أنهم خدمى نبذتهم كالأذى ، حرصاً على كرمى

قد سوَّدتْهم مخازيهم ، وما لهم من السيادة حتى الجدُّ فى الهمم (٤)

فمن تكن غرَّبته همةٌ عظمت فهؤلاء نفتهم خسة الشيم

أيرتضى الذل من يسعى ليدفعه عن الأذلاء حتى الطير والنعم

---

(١) الغرر : اسم من غرر بنفسه اذا عرضها للهلاك .

(٢) دوائل : متغيرة .

(٣) الرؤى : الاحلام ، واحدها رؤيا ، والموائل : جمع موئل وهو المرجع والمصير .

(٤) سودتهم : جعلتهم سادة .

ثلاثة أجيال

صرت أما ، فجدةً ، ثم مازلت — كما كنت — طفلة فى النساء
لا يربىّ الزمانُ منكن إلا جسدا كالنبات فى الأحياء
ثم تبقى العقول نائمةً فيكنّ ، إلا للغىّ والإغراء
ليس عنكن غنيةٌ ، ولأنتنّ معين النعماء والبأساء(1)

خفة الجماهير

هذى الجماهيرُ : لا عقلٌ ولا أدب يصونها عن مجاراة الأخطاء
ماقام فى الأرض دجّال ليخدعها إلا استجابت له من غير إبطاء
ولا دعاها إمامٌ للهدى فصغت إلا بأذنٍ عن الإرشاد صماء(2)
هى « الرعية » لا تزكو معايشها حتى تُدَبَّر مثل الإبْل والشاء(3)

حكمتى

حكمتى — حيثُ كنت — فهْى معى أنفق منها ، وذُخرها فى نَماء
لا يطيق الأنام سلبى إياها ، بغير استنزاف كلّ دمائى
وبها لا بغيرها أنا إنسانٌ يُرجىَّ للنفع والضراء
وإذا فاتتنى فلست — وإن أُعبد — سوى رِمّةٍ لدى العقلاء

---

(1) غنية : غنى . والمعين : المنبع .
(2) صغا يصغو : مال .
(3) تزكو : تطيب ، والشاء : جمع شاة ، الغنم .

شكوى مرفوضة

لقد ظلموكم ، ثم منوا بظُلمهم عليكم ، كأنَّ الظلم نعمة منعم
وصاحوا «اشكرونا» فاستجابت قلوبكم وألسُنُكم بالشكر دون تجمجم(1)
فماذا إذنْ تَشكون بعدُ ، وأنتمُ لُجبْنكمُ عظَّمتُم كلَّ مجرم
لعَمْرِىَ ، ما أنتم لغير طُغَاتِكم بأهل ، فمن يصبرْ على الظلم يُظلَم

حسن النساء

جُلُّ حسن النساء — لو يَعقل الرا ءُون — زَيف من زينة وكساءِ
فإذا ما حُرِمْن منها فلا فتنةَ تُذكى مواطن الأهواء(2)
من يقَل «إنهن أجمل منا» فهو غِرٌّ بادى العمى والغباء
نحن بين الأحياء أجمل منهن ، وأغنى فى نخوة وذكاء

الحب والحرب

امض ، ثم امض ، باسلا ، إن أردت الفوز فى الحب ، وليكن مايكون
ليس كالعَزم والشجاعة فى الحرب ، وفى الحب ، إذ تحَار الظنون
فإذا لاح منفذ فارْمِ ، ثم ارم ، وأقدم كمن عراه جنون
صرعةُ الحب دونَهَا صرعة الحرب ، وإن الشهيد من لا يخون

---

(1) تجمجم : تردد . والسن : واحدها لسان .
(2) تذكى : تحرك وتشعل .



رحلة مرهوبة

ياحصانى ، قد هزَّنى الليل ، والأخـــطار بينى وبين حبى كثير
غير أن الوفاءَ بالوعدِ حَتْمٌ فى الهوى ، كيف ساء فيه المصير
فاْمض بى فى طريقها - ولنا اللـــه - فإنى أكاد شوقا أطير
ليس كالخيـــل من معينٍ لملهو ف ، وذُو العشق مثلها إذْ يسير (١)

(١) ان العاشق سريع فى سيره الى محبوبه ، وكذلك الخيل .

لا زهر فيهن

أخشى زمانا أرانى فيه منقبضا عن حبهن ولو جاوزت سبعينا

ما زهدهن سوى زهد الحياة ، ومن تزهده ينبذ ، ولو كان ابن عشرينا

والعود للزهر ما اخضرت منابته وللحريق وقودا حين يذوينا(١)

والموت أكرم بالإنسان إن زهدت فيه الحياة ، فجافاها ، ولو حينا

جنة العمر

خير ما أحرز الفتى زوجة تر عى حماه كأمه فى الصيان(٢)

جنة العمر هذه ، من يحزها يتملك شتى مزايا الجنان(٣)

لا تطيب الدنيا بمال ، ولا جا ه ، ولا شهرة ، ولا سلطان

إنما تجمل الحياة لزوجين ، بحب قلباهما يخفقان

الزواج نصف الدين

صدقونا ، فأبلغوا فى هداتا حين قالوا «الزواج نصف الدين»

ليس يستمرئ العزوبة — مختا را — رشيد ، إلا لضر كمين

كيف تحلو الحياة من غير أولا د وزوج ، نحبهم فى يقين

كل أمجادنا شقاء ، إذا لم نذق أنسا فى ظل بيت أمين

---

(١) ذوى النبت : ذبل وجف .

(٢) الصيان : الصون والحفظ .

(٣) يحرزها : يحصل عليها . الجنان مفردة جنة .

رباعيات اسرية

للشاعر فى أسرته — ولا سيما أولاده — كثير من « الشعر الاسرى » ، ليس يعرف هو نظيره لشاعر فى العالم ، وشعوره « الأسرى » منعكس على شعوره بالناس جميعا ، بل على الكون كلـــه ، وفى كثير من قصائده ورباعياته — هذه خلال المجموعة وغيرها — ماينضح عليه شعوره العميق وإيمانه بـ «الوحدة الإنسانية» و « الوحدة الكونية » .

وبعض الرباعيات التالية خاصة بمن رزقه الله بهم من أولاده الاربعة : ابنين وابنتين على التوالى ، وهم : « فيصل» ، وهو البكر ، واسمه عرب ، معناه السيف ، أو القاضى الذى يفصل بين الناس فى قضاياهم ، والثانى « تيمور » واسمه تركى ، معناه الحديد ، أو الصلب المتين ، والثالثة «سوفيا» واسمها يونانى ، معناه الحكمة ، ومنه كلمة «فيلسوف» أى محب الحكمة ، والرابعة « أفرين » وتمد الهمزة أصلا ، واسمها إيرانى ، معناه الخلق أو الخير ، وكان يطلق على روح الخير أوربته فى المجوسية القديمة ، وقد حرف فى عاميتنا فصار «عفارم» أو « أفارم » بمعنى «حسن» وتقال عند الاستحسان عندنا حتى اليوم ، ولايعرف الشاعر والدا سبقه بمثل هذا الاسم لابنته .

وله فى تسمية أولاده « فلسفة » أو هى — على جهة التواضع — وجهة نظر خاصة مستقلة ، فهو يتوخى فى أسمائهم أن تنطق فى كل الألسنة بصورة واحدة ، وكل اسم منها منقول من لغة أمة تختلف عن غيرها ، فبيته «عصبة أمم» صغيرة ، وهذان الجانبان فى التسمية يرمزان إلى شعوره بالوحدة أو « الأخوة الإنسانية » وإلى نزوعه إليها ، وعمله لها أيضا ، وهذه الأخوة شعبة عنده من « الأخوة الكونية » فى رعاية الله « رب العالمين » وهو يشعر بهذه الأخوة واحدة ، وينزع إليها ، وذلك كله واضح ناضح فى الرباعيات هنا ، كما هو واضح ناضح فى تسمية أولاده معا .

وهو فى كل تسمية يقصد المعنى اللغوى للاسم فى اللغة المنقول عنها كما سبق توضيحه ، ولا يقصد فى أى تسمية أن يكون ابنه مثل « فلان » الذى يشاركه فى اسمه ، أو أن تكون بنته مثل « فلانة » التى تشاركها اسمها . وعلى وجه التفاؤل يلاحظ هو — فى تسمية كل ابن — أن يكون فى اسمه معنى السيادة والقوة ، ممايلزم للرجولة العظيمة ، كما يلاحظ أيضا فى تسمية كل بنت مايليق بالأنوثة الكريمة ، لأن الشاعر

يتعامل فى حياته بالمعانى لا بالأشخاص ، وهو يعرفهم بها ، ولا يعرفها بهم ، لأنهم زائلون أو صائرون وهى ثابتة باقية ، وإن كان — مع ذلك ولذلك — حريصا على أن يعرف لكل شخص فضله تاما .

ومن مستلزمات المروءة وواجباتها وآياتها أن يعرف المرء لكل ذى فضل كل فضله ، وأن ينوه به . وفى سبيل ذلك اختار الشاعر اسم ابنه الأول عربيا ، لأن العرب أصله ، وفيهم ظهر الإسلام — عالميا — فتولوا نشره ، وكونوا مع غيرهم ثقافته وحضارته ، فالشاعر مدين بحياته لقومه العرب ، وهم أولى به لأنهم أقرب إليه ، وأصحاب أكبر فضل عليه . واختار لابنه الثانى اسما تركيا ، لما للترك من فضل ، أهمه الدفاع المسلح عن الإسلام فى بعض العصور ، كما أن فى عروق الشاعر — من جهة أسرة أمه — دما تركيا . ثم اختار لبنته الكبيرة اسما يونانيا اعترافا بفضل ثقافة اليونان على الثقافة عامة ، ومنها ثقافة قومه العرب ، ولاطلاعه هو على فلسفتهم القديمة وإعجابه بها ، واختار لابنته الصغيرة — وهى الأخيرة — اسما إيرانيا ، لما للإيرانيين من فضل على حضارة الإسلام وثقافته الأدبية ، ثم لاطلاع الشاعر على هذه الثقافة ، وإعجابه بها .

فَيصل

هَبْ لطفلى — يارب — طول البقاء ومزيداً من حكمة وهناء
وفراغا يَمْلِى له فى تملٍّ السكون حتى يرى سنا الأشياء[1]
ويُريه سناك فيها ، فيزدا دَ يقيناً بحسنك الوضاء
فيحبَّ العباد طُرًّا ، ويحبو هم نداه عفوا ، لمحض الإخاء[2]

---

(١) السنا : النور .
(٢) يحبوهم : يعطيهم . نداه : كرمه واحسانه .

فيصل وتيمور

إن يكن — بعدُ — «فيصل» فى الأطبا ء فتيمورُ فيلسوف سديد
ورثا عن أبيهما النظر الثا قب ، إن يَرْمِ لم يفُتْه بعيد
وعُزوفاً عن الدنايا كأبنا ء الملوك العظام ، ليس يَميد[1]
وغراما بالخير والحق والحسـ ن ، كما هام بالفداء شهيد

سوفيا فى طفولتها

بُنَيَّتى ما أحيلاها ، وأودعها وما أميلحها كالبرعم النضر
قد فجَّرت فى الحشا أقصى منابعه وذوَّبت كلَّ قاسٍ منه كالحجر
إخال قلبى — إذ تحبو لتأتينى — يهفو ، ليطْفُرَ من صدرى على الأثر
فإن أعشْ تلقَ من حبى وتكرمتى حظَّ الوحيدِ أتى شيخين فى الكبر

صغيرتى «أفرين» فى المهد

بنتى لأنت ، وإن دعوتكِ فاخرا «أختى» ، لأكبر منك كل صغير
قبلتْك أمى ، إذ وُلِدتِ بدارها وألقمتِ ثدييها بغير درير[2]
وحنَا عليكِ أبى ، ولم تستكملى يوما ، ليجبرَ منكِ كل كسير
لم تلقَ أختٌ أو أخ لك منهما ما نلتِ مِنْ عطف ومن تقدير

---

(١) يميد : يهتز . العزوف : الانفة .

(٢) قبلتك : استقبلتك عند الولادة ، ومنه القابلة ، وهى المرأة التى تأخذ الولد عند ولادته ، والدرير كالدر : اللبن ، ومعنى الشطر الثانى انها وضعت ثدييها فى فمك دون أن يكون فيهما لبن ، لكبر سنها .

أنت أغلى النساء عندى ، وأعلا هنَّ قدراً ، وفى رضاك حياتى
أنت إلفى، ومنك ولدى، وفى كفيك تدبيرُ كل مافى حياتى
ما بنا حاجةٌ إلى سدّ عينىّ وقلبى عن طيبات حياتى
وحياتى — لاشك — أنت ، ففيم الخلف فينا ، ما دمت أنت حياتى ؟

نفثة جارة لجارها

«أراكَ - إذ ما كنتَ عندىَ - صامتا وإن كنتَ فى رهط تدرّ وتعسل[1]
وإن جاء ضيفٌ كنتَ أعذبَ ناطق وحفَّ به من سحر أُنسك محفل
أمالىَ حظٌ من حديثك مثلهم إذا لم أكن أولى بما أنت تبذل ؟
أليست أحقَّ الناس بالبرِّ جارةٌ طواك وإياها - على البر - منزلُ»

الالفة الزوجة

ما أنتِ خيرُ امرأة ولا أنا خيرُ رجل
كم قد رأينا بشرا وسنرى ، ولا زلل[2]
فإننى اخترتكِ ثم صرتِ غايةَ الأملْ
والإلف يُعمى ويُصم — كالغرام — إن يَطُلْ[3]

---

(1) يدر : يسيل بالدر وهو اللبن ، ويعسل : يسيل بالعسل ، والمعنى : انك تتكلم كلاما طيبا شهيا .

(2) أى رأيت انت كثيرا من الرجال ، ورايت انا كثيرا من النساء ، ومع ذلك لم تخطئى ولم أخطىء .

(3) الالف مصدر كالالفة : والمعنى أن الالفة كالحب الذى يعمى الانسان ويصمه عن عيوب محبوبه .

أطيب الطعام

إذا ما جلستُ إلى سُفْرَتى ... فأدنىً طعام هو الأطيب(١)
فلا تُمهلينى إذا جئتها ... وَجُودى علىَّ بما يقرب
فإن تُسعفينى بخبز وملح ... فإنى سأثنى ولا أعتب
ولست بليدا ، ولكن تسوغ ... الطُّعوم إذا استحكم المذهب(٢)

عتاب جارة لجارها

«حبوتُك مافى وسع مثلىَ كلِّه ... ومالىَ إلا ما هواه إهابى
هواى وصبرى واحتشامى وطاعتى ... وطُهْرَ يدى فى محضر وغياب
وخاصمتُ أهلى فى رضاك ، وإنهم ... لأهلى ، وسَعدى سعدُهم ، وعذابى... (٣)
وليس لأنثى أن تصول ببأسها ... - وليس لها بأس - لصون جناب» (٤)

أم بيتى

أم بيتى أم لأهلى جميعا ... وأبوهم أنا صغارا وشيبا
هكذا الزوجةُ الكريمة والزو ... جُ ، لشتى ذويهما، إن يُصيبا(٥)
فإذا استوحشا بعيدا عن الأهـ ... ـلَيْن لم يعرفا لنعماءَ طيبا
والأخلاء فى الحياة عزاء ... حينما يعدم الأَلوفُ قريبا(٦)

---

(١) السفرة : هى فى الأصل طعام المسافر ، وتطلق الآن بيننا على الخوان والمائدة .

(٢) تسوغ : يسهل بلعها . والطعوم : مفردة طعم - بضم فسكون - وهو الطعام . والمذهب : طريق الذهاب ، والمراد هنا طريق الطعام .

(٣) أى : وعذابى عذابهم .

(٤) البأس : القوة ، والجناب : الجانب ، أى ليس للمرأة أن تحمى جانبا بالقوة ، لأنها لم تخلق للصراع .

(٥) أن يصيبا : أن يبلغا الصواب ، والمعنى انه ينبغى للزوج أن ينظر الى اسرته واسرة زوجته معا كأنه أبو الأسرتين ، وكذلك الزوجة كأنها أمهما .

(٦) الألوف : الشديد الألفة لمن يخالط وما يخالط ، والمعنى أن الالوف شديد التعلق بنسبه وصهره ، فاذا عدم حبهم أحس بالفجيعة والقطيعة ، فيتعزى بالأصدقاء ليهون من مصابه .

مصرع شقيق[1]

أفحقا مات عبد المطّلب ؟ ... تلك ـ والله ـ إذن ، عُظمى الكُرَبْ

كيف أمى وأبى من بعده ... وهما فى كُبْرة العمر الوَصِب ؟[2]

إن يكنْ مصرعهُ قد غَصنى ... فهما فى عَيْلَمٍ منه لَجِب[3]

لَهفَ نفسى لهما فى ثُكلْه ... أين ثُكل الأخ من أم وأب[4]

على قبر أخى

عاهدتُ نفسى أن أزورك كلما ... نادى الأصيل ، فلم أوف عهودى[5]

مازُرتُ قبرَك مرة إلا سَرَى ... بَرْدُ المنايا فى دمى ووجودى

فأرى قواى مهيضة ، ومفاصلى ... محلولةً ، قد آذنت بجمود[6]

فأجرّ ـ كالميْت المفاجئِ بعثُه ـ ... جسمى ، على عنت ، لفرْط همودى

---

(١) أصغر من الشاعر بنحو ثلاث سنوات ، ليس بينهما فى الميلاد الا شقيقة توفيت رضيعة ، وقد كان أول ربيب وتلميذ له ، توفى وهو فى السابعة والعشرين فى ١٩٤٥\١٢\٢٨ .

(٢) الكبرة : الشيخوخة . وصب وصبا ، كمرض مرضا فى الوزن والمعنى ، فهو وصب .

(٣) غصه : اعترض فى حلقه ، والغصة من طعام ، وتستعمل فى الماء مجازا كما هنا . والعيلم البحر الكبير . واللجب ذو الأصوات الشديدة المختلطة لتلاطم امواجه .

(٤) الثكل : فقد الولد أو الحبيب ، والمعنى : أن ثكل الانسان اخاه اهون مما يلقى فى ثكله والداه .

(٥) الأصيل : العشى ، وقرب الغروب .

وكان الشاعر عقب وفاة شقيقه قد التزم أن يزور قبره للقراءة عنده كل يوم بعد صلاة العصر ، أو قبل الغروب ، فكان الاصيل يناديه اوعده كلما حل ، ليذكره به ، وصارت الزيارة عادة له متعارفة فى أهل قريته « تونس » كلما نزلها لزيارة أهله ومطاهد صباه فيها ، وجرى على هذه العادة غالبا ، فلما توفيت أمه بعد ذلك ودفنت فى قبر جنب قبر شقيقه جرى على هذه الزيارة دائما ، وعزز هذه العادة دفن أبيه ثم ابنه فى قبر واحد مع شقيقه .

(٦) المعنى : انى عند زيارة قبرك أحس ـ وانا اجر جسمى فى مشقة ـ كاننى ميت فوجىء بالبعث من قبره ، فهو يتحرك أول سعيه فى وهن وعذاب .

أمي و بكري

إن رسماً يضمُّ أمي وبكري لحقيق — فِدًى له — نصفُ عمري

فهما في حمى السماء جناحا ى ، يطيران بي ، لأبلُغ أمري

طالما حلَّقا هُنالك بي ، حتَّى تخلتُ الدنيا بأمريَ تجري

أنا والكونُ فيهما قد جُمِعنا فبدَا — في اجتماعنا — كلُّ سرّ



أمي تحضن بكري

أمي وبكري معاً ! طابت غِراسُهما أصلاً وفرعاً ، وداما للنعيم معاً

إليهما ينتهي حبي وتكرِمتي وفيهما أتملَّى الخيرَ مجتمعاً

نجمان في أفقي ، يهدى ضياؤهما في منهج الله سعيي ، طالما سَطعا

يا حُبَّهُ مجلساً بالبِرِّ ضمَّهما وحسنَها صورةً ، في حضنِها اجتمعا

في فـؤادي من المسرّات بابني ما يغطّي - لو فاض - كلّ الجبال
لا أبالي بأن أمـوتَ ، إذا ما عاش لي « فَيصـل » على الأجيال
يتوالى بنوه جيـلا فجيـلاً وَفق ما ينبغي لأهـل المعالي
في سماواتهم قيامـاً على النـا سِ ، دعاةَ الهدى ، عداةَ الضلال

الأطفال في النوم

ما أُحيلَى الأطفالَ حين ينامو ن ، وقد راودَتهمُ الأحـلامُ
وتوالَتْ عـلى وجوهِهمُ أطـيافُها ، مثلما يرفُّ الحمـام
فانقبـاضٌ مُحبَّب وانبِساطٌ وعُبوسٌ مُستَمْلحٌ وابتسـام
كلُّ ما في دنيـا الطفولة حُلوٌ فعليهـا تحيـةٌ وسـلام

نور حياة

في نورعينيكَ ، ألقىَ الكونَ حافلةً آفاقُه بالرضـا والبِشرْ والأَلَقِ
فحيث وَلّيت حفّتْ بي ملائكـهُ وسدَّدتني بمـا تَهديه من طُرُقِ
وبـاركتني فأوْلتْني حمايتهـا وجنَّبَتْني زوايا التيـه والزّلَق
يا «فيصلي» ، عشتَ لي أنساً ومَرحمةً فأنت ضَوئي ، وإن سدَّ الدجى أُفقي

بنفسى أبى ، يبكى لتوديع صِبْيتى ويهتزُّ من فرط الأسى ، فيغمغم
ويحضُنهم طرا ـ مع الوهن ـ داعيا لهمْ خيرَ مايدعو، ليبقوا ويسلموا
وعهدى به ـ من قبل ـ جَلْداعلى الأسى وقورا ، ولو أن النوائب تحطم
وكنت إذا ودعته قبلهم ـ أرى على وجهه مِثل الهباء يخيم

الحفدةُ أغلى من الأبناء

يكى شيخى أسى لوَداع وُلْدى وغمغم وهو يزفرُ بالدعاء
ولم يكُ ـ إذ يودعنى ـ ليُبدى سوى وجه تقبَّض بالهباء
أمِنْ كِبَرٍ تهافت أم تحنَّ خفف وَقارُه عند التنائى(١)
« لأغلى الوَلد وُلد الوُلد » حقًا كمأثورِ المقال ، بِلاَ مِراء(٢)

قبر أمى وقبر أخى(٣)

قبرُ أمى جارُ قبرِ أخى شِبْرُ طفلٍ قام بينهما
هَلْ يَرَاها ، أوتراه؟ إذَن طاب نُزْلٌ ضمْ شملهما(٤)
لا ، فويل القلْبِ محتقنا إذ يرى أحْباَبهُ رِمما
جِيرةٌ لن يلتقُوا أبدا يَالهَا صيْرورةً قدُما!(٥)

---

(١) تهافت : ضعف ، وتفكك وتساقط . تحنى : مال ضعفا . التنائى : التباعد ، والوداع .

(٢) الولد : الأولاد . المراء : التنازع فى الشك . ومن الأقوال المأثورة فى مصر « أغلى الولد ولد الولد » ومعناه أن حفدة الانسان واسباطه اعز من آبائهم وامهاتهم عنده .

(٣) توفيت فى يوم الأربعاء ١٩٥٢\٦\٢٥ .

(٤) النزل (بضم فسكون ، أو بضمتين) منزل الضيف .

(٥) الصيرورة : التحول . قدما : الى الأمام .

[من عادة المرأة فى قرية الشاعر وجيرتها أن لا تخرج للطريق سافرة ، بل تتحجب بكساء صفيق شامل هو البرد أو « البردة » كما يسمى هناك ، وهو من الصوف الخشن تديره المرأة حول جسمها ولكن فضفاضا حتى لا يصف جسمها أو يشف عنه ، أو يظهر جارحة حتى الوجه أو العين .

وقد جرت عادة الشاعر غالبا منذ وفاة أخيه ، ودائماً بعد وفاة أمه — وهما فى قبرين متجاورين — أن يزور مقبرة قريته يومياً قبل الغروب ، ويجلس هناك على دكة أو مصطبة مبنية أمام قبر نساء الأسرة الذى دفنت فيه أمه ، ويقرأ ما تيسر من القرآن للدرس والعبرة والقربى .

وكان مرة فى جلسته المعتادة هذه عقب وفاة أمه ، وهو مستغرق فى القراءة ، إذ مرت به امرأة مجهولة ملتفة تماما ، ولم يتنبه لها حتى حاذته ، فقالت له « اقرأ يا ولدى ، اقرأ ،والله ، ما كان مثلها أم ، ولا كان عزيز عليها مثلك » ثم سارت مبعدة ،وهومأخوذ فى دهشته من أثر قولها البليغ الذى نفذ فى قلبه وعقله ،وعزاه كما لم يلق من أحد، مع أنها عامية جاهلة كسائر من هن فى سنها من نساء القرية] .

عبرَتْ بىِ أمام قبرِكِ ـ يا أمُّ ـ أُصـيلا أتلو من القرآن
عرفَتْـنى بين القبور ، وما عِلمِـــــــــى سوى أنها من النسوان
ثم قالت ـ والبرد يحجُـبُها ـ ما لم يجد مثـلَه عَزاءً جَنانى
«ولَدِى ، لم تـكن كأمِّك أمٌّ أو غلا عندها ـ كمثلك ـ ثان »

الشيخ الأرمل

أبي بـ «تونس» يشكو من ضنى الـكبر ... ووحشة النفس في أيامه الأخر
يا ليت أمي قد عاشت لِـترأمه ... والزوج أحنى حمى في أرذل العمر[1]
مازلت أعهده جلداً ، فمذ رحلت ... عنه تهاوى، كجذع شاخ ، منقعر[2]
قد خلفته يتيما ، بل أشد ضنى ... والشيخ أوهى وأوعى من ذوي الصغر[3]

على قبر أبي[4]

بوأ الله أبي جـنته ... فلقد كان سماوي الخصال
كان لله وليـا مخلـصا ... كأولي العزم ، على أكرم حال[5]
ما حنى رأسا لغير الله في ... كربة ، أو حاد عن سمت الرجال[6]
عاش للناس أبا براً ، كأن ... كلهم في عطفه بعض العيال

---

(١) رئمت الطفل ترأمه : عطفت عليه ولزمته ، فهي رءوم . وأرذل العمر : اشده ضعفا وسوءا .

(٢) المنقعر : المقطوع من أصل جذوره .

(٣) الشيوخ - في ضعفهم البالغ - كالصغار في حاجتهم الى العطف والخدمة والضبط : ثم شتان الطرفان ، فمن السهل ارضاء الصغار بالتافه والحيل الكثيرة ، وضبطهم بالحزم والزجر، ولكن من العسير ارضاء الشيوخ أو ضبطهم بذلك أو نحوه ، فهم يعرفون وجوه الحيل ، ويتألمون منها سواء تكلموا أو سكتوا على مضض ، والشيخ يذكر - ولو فيما بينه وبين نفسه غالبا - فضله على أولاده ، ويطمع منهم عبثا أن يعاملوه كما عاملهم صغارا على قدر طاقته في الحب والخدمة والفداء ، ويزعجه أي تقصير ولو تافه ، وينسى انهم لايستطيعون أن يحبوه ويخدموه ويفدوه كما عاملهم صغارا ، مهما يبالغوا في بره . وهنا الفاجعة التي لانجاة منها بأي قوة أو حيلة .

(٤) توفي في مايو سنة ١٩٥٦ ودفن مع ابنه في قبره .

(٥) الولي المخلص الذي أخلصه الله لنفسه . أولو العزم : الأشداء في التمسك بأمر الله.

(٦) حاد : مال . السمت : هيئة اهل الخير ، والطريق او السيرة .

مصرعَ فيصل[1]

أأفقد بِكْرى حين شبَّ ، ولاأرى حياتى جحيماً لا تطاق بحال ؟
أأبخع نفسِى ، ناجيا من عذابها نجاةَ جبان عند حرِّ قتال ؟[2]
ولو أنَّ ما بى قاتلى لأراحنى ولكنْ ورائى خُلَّتِى وعيالى
أأتركُهم للذل يصلَوْن ناره لتقصير عمٍّ ، أو لقسوةِ خالِ ؟[3]

حنينُ ثاكل

خانني جَلدى فيك ياولدى
إذ فقدتُكَ يا خَبْرَ مُفتقَد
صرتُ مُنقعِرا فى ثرى النَّكَد
ليت لى أملا فى لقاء غد !

أرق الثكل

أسفى عليكَ جفا كَرَاىَ ، فلم يدَعْ لى راحةً فى مكتبى أو مرقدى[4]
إن قُمتُ أقرأ عِفْتُ ما أنا قارىء أو رُحتُ أكتب ما بنفسِى تعنِد
أوْعدتُ أرقد ملَّ جنبِى مَضجَعى وأبَى القرارَ به لِفَرْطِ تلدُّدى[5]
فأبيتُ أخْبِطُ للصباح ، كحامل ضُربت بطَلْقٍ عند قُرْبِ المولد

---

(1) توفى غريقا فى مياه الحوض المحيط بالقرية وهو الذى يمتلىء كل صيف من اثر فيضان النيل وقد دفن فى قبر عمه وجده ، وذلك فى ١٢ سبتمبر سنة ١٩٥٦ عقب وفاة جده باشهر .

(2) ابخع نفسى : اقتلها .

(3) الخلة : الصديق والصديقة ، والمراد هنا الزوجة ، صلى النار : احترق بها .

(4) الكرى : النوم : كراى : نومى . المكتب كالمكتبة : مكان الكتب والكتابة .

(5) القرار : الاستقرار : وتلدد : تحير متبلدا ، او تلفت يمينا ويسارا .



جُميزَة تحضن قبرَين

طوبَى لجميزة : أغصانُها انتشرت — لتدفع الشمسَ عن قبرين فى حدَبِ (١)

قبرين خِلَّين : فى هذا أخى وأبى — وابنى، وجارتُهم أمى على كثَبِ (٢)

أُمِّى التى غرستها — قبلُ — بينهما — بِرًّا بأموات أهليها وأهل أبى

لى تحتها مجلسٌ ، أتلو «الكتاب» به — فى كل يوم . أصيلاً ، واصلاً نسَبى

(١) حدب : عطف .

(٢) كثب : قرب .

كنية موجعة

« يا أبا فيصل » نداءٌ حبيبٌ كان، لكنه غدا — لي — عذابا[1]

كُلَّما مسَّ مسمعي دار رأسي حسْرة ، واستطار رشدي اكتئابا

ليتني لم أكنْ ، ولم أتزوجْ أو ألدهُ للموت قَبْلي احتسابا[2]

كيف أكْنَى به فأزهو كأمسي بعد توسيده بكفّيّ الترابا ؟

كنية مُحيِّرة

دعيت « أبا فيصل » باسم بِكْرى وكم سرّنى – قبلُ – هذا الدعاء

فلما طواه الردَى صرت — أنّى كُنِيتُ به — أصطلى فى الشقاء

ولكن ، أُيطوَى اسمه فى حياتى فيشقى بموتين ، كى لا أساء ؟

معاذَ الأبوَّة ، إنى سأبقى أُكَنَّى « أبا فيصل » للوفا

الجنسان فى المحن

تأبَى علىَّ وُجومى ، وهى والهةٌ كأنها عمِيَتْ فى الهول عمَّا بى[3]

بِى مثلُ مابك ، إلا أننى رجل أمضِى الأمورَ بعقلى ، لا بأعصابى

قدْ رُضْت نفسى على الصبر الجميل، ولو تهدَّدِتنىَ بالآفات أوصابى

فلا تزيدى بلائى ، واحمدى دعتى كى لا أُضيع معاً بِكْرى وآدابى

---

(١) جملة « يا أبا فيصل » مبتدا وما يليها الخبر .

(٢) احتسابا : وديعة عند الله .

(٣) الوجوم : العبوس واطراق الراس من شدة الحزن .

امنيات حزينة

ياليت دنيا الأرض دامت لنا وإن نكن فيها أسارى العذاب
ياليت بكرى «فيصلا» عاش لى حتى أراه ، وهو زين الشباب
ياليتنا نلقى أحباءنا بعد ، ونحيا معهم فى تحاب
كدأبنا فوق تراب هنا فالخوف فى الخلد وراء التراب

عيد ميلاد أسيف

عيد ميلادى الأسيف يناجينى بفيض من فاجع الذكريات
قد طوى الموت والدىّ اللذين استقبلانى ، وجاهدا لحياتى
وفتاى البكر الذى غاله النيل ، فأغرى قلبى بحب الممات
غاله النيل بعد يومين من عيدى فلفّ الأفراح بالحسرات(1)

هل طفل صغير ؟

تقول لى ابنتاى — وقد يئسنا من الأطفال — «هل طفل صغير؟»
فقلت « بحسبنا — ولنعم أنتم — ثلاثتكم ، فمغنمكم كبير
غداً — إذا تكبرون — يحيط منهم بكلّ منكم جمع غفير
وإن شاقتكم الأطفال يوما فللجيران أطفال كثير »

---

(1) كانت وفاته فى الثانى عشر من سبتمبر ومولد الشاعر فى العاشر منه .

أخشى على ابني

أخشى على ابني تباريحَ الغرام، إذا ... لم يلق من في مزاياه تؤاخيه[1]

العبقريُّ النبيل الغرُّ، كيف له ... بخُلّةٍ مثله نُبلاً تباريه[2]

بنات حواءَ، هل فيكنّ صالحةٌ ... تُهدَى إليه، فتُرضيها مساعيه؟

ترعاه كالأم في عزم، فتُحصنُه ... وتستمدُّ عُلاها من معاليه

مطالب الأبناء

سيارةً يطلبُ ابني كَيْ تكونَ له ... وحِرزُ درّاجة ـ لو شئت ـ يُعينني

ولو عزمتُ لجاءته، وسائقُها ... لكن عُروض حياتي لا تعنّيني[3]

وهل يليقُ بمثْلِي أن يكون له ... ـ غيرُ الكفاف وبذلِ الفضل، من دين؟

إن السلاطينَ من دانوا نفوسَهمُ ... ودائنُوا الناسِ ليسوا بالسلاطين

كلُّ فتاةٍ بأبيها مُعجبة

«سوفيا» العزيزةُ، هل تكون غداً ـ كما ... أمّلتُ ـ ربةَ حكمة وصواب؟

إني أراها في البنات، فانتشي ... وجْداً، برفعتها على الأتراب[4]

سبقَت ـ بفضلِ ذكائها وخَلاقِها ـ ... في الفن والتدبير والآداب[5]

وزهت بوالدِها، وعزةِ نفسها، ... ويقينِها بالبرِّ والإعجاب

---

(١) التبريح: الشدة والتوهج، جمعه تباريح.

(٢) الغر: من لم يجرب الامور. والخلة: الصديقة.

(٣) العروض: مفرده عرض (كسبب) حطام الدنيا. لا تعنيني: لا تهمني

(٤) الاتراب: في عمر واحد

(٥) الخلاق: الخير العظيم.

عبقرية طفلة

أنت «بنتى» وإن دعوتك «أختى» لمزايا رجوتها منذ وُلدت
إن تكن فى بنات حواء ـ يا «أفرينُ» ـ من عبقرية ، فهو أنت
قد علوت اللدات خُلْقاً وعقلا ولقيت الإكبارَ فى كلِّ بيت
وأثار الحسادَ فضلُك ، فابقَى لى ، وزيدى مماَّ عليه حُسِدت

ذخيرة لا تورث

ليتنى أستطيع توريثَ أولا دِىَ شتَّى ما حُزتُه من علوم
مثلما يَستطيع ذو المال توريـ ـثَ ذويه ما حازه من سهوم(١)
عشرات السنين مرَّت ثوانيـ ـها اطِّلاعا بين الثرى والنجوم
أتملَّى حقائقَ الكون كالطفـ ـل ، وأتلو آثارها فى الفهوم(٢)

ميثاق زوجين

حسْبِى وحسْبُك أنا حافِظان لما يُوحِى به الدينُ والآداب من ذِمَم
فإن رَضِينا فدنيا الحب واسعة وإن سخِطنا رتَعْنا فى حمى الشمم(٣)
الحرُّ ـ عند الرضا والسخط ـ ديدنه تركُ السِّفاه ، وأخذُ العفو من أمم(٤)
والحر يأنف من تسريح صاحبة أمينة أن حفت شيئاً من اللَّمَم(٥)

---

(١) السهوم جمع سهم ، وهو النصيب .

(٢) يتملى الشىء : يتأمله ليستمتع به ، اتلو آثارها .. اطالع ما كتبه الناس فيها .

(٣) رتعنا : تمتعنا .

(٤) الديدن : العادة . وأمم : قرب

(٥) تسريح صاحبه : تطليق زوجة . واللمم : الاخطاء الصغيرة .

الصبر على الصاحبة

مَنْ كان يَقْهَرُ زوجهُ لسفاهها فهو السفيهُ ، وإن دعوهُ « حكيما »
لو كان يعقل ، أوْ يَفِي ، لأعارها قلباً — إذا ما أبرمته — كريما
كم أسعدت أيامه ، أفإن هفت ينسى المودة لائما ومُليما ؟
أعباؤها كُثْرٌ ، وجُلُّ حياتها رهقٌ ، ولا يشكو الطبيب سقيما

تجديد الزوجية

ظلمتُكِ عُمْراً — ياعروسي — جاهلا بأسرار ما أسخطتِني فيه من قبلُ
فإن تغفري ذنبي أعمِّرْ حياتنا ولا يَكُ إلا الحبُّ منيَ ، والبذلْ
وإن مُدَّ لى عمري أبوِّئْك جنتي ونَنْعَمْ معاً فيها ، كما ينعمُ الطفل (1)
لنَنْسَ ، ونشرعْ فى حياة جديدةٍ يُبارِكها الإخلاصُ والأمل الجزل

وفاء زوجي

لِيَقُلْ فيكِ حاسداتُك ماشئن ، فإنى أدرِى عيوبَكِ طراً
ثم أدرِى ما لسنَ يدرين منها غير أنى أراكِ أغلى وأغرى
طولُ إلفي إياكِ أفعم قلبى بكِ ، حتى لَخِلْتُ حبِّيكِ سحرا (2)
فإذا غبتُ لحظة عنكِ أستو حشُ ، والقلبُ إن رآكِ استقرَّا

---

(1) ابوئك : اسكنك . والطفل : الاطفال .
(2) الالف : الالفة ، حبيك : حبى لك .

أىُّ زوجٍ يَبقى لزوجته بعـــــدَ ثمانٍ من السنين وعَشْر
تلك إحدى عجائبِ القلب، إذ ينـــساب كالبحر بين مد وجزر
لم تؤلف قلبَيهما جِدَّةُ العـــيش، ولـكنْ عِرفانُ فضلٍ وقَدْر(١)
أو هذا ضَربٌ من السحر؟ إنى لأرى فى آثاره بِدْعَ سحر!

الهوى الخمرىّ

أرى أم وُلْدِى : كلما كبرت غلَت بقلبى، وزادتنى مآثرها وَجْدا(٢)
أرانا — وجُزْنا الأربعين — كأننا عشيقا شباب، آنسا فى الهوى رُشدا(٣)
كأن هواها الخمرُ : تزداد سورةً على العتق، إذ تزداد فى دَنّها وَقْدا(٤)
فلا مرَّ بى يوم وليست رفيقتى ولا عمرت دارٌ، وإن تكن الخلدا

الجبن سيد الأخلاق

لا تقُلْ لِى : « بيتى يَهابُ مقامى » إنمـا البيتُ للهــوى والوِفاق
كلُّ مَنْ فيه هُمْ ذووك ضعافا فاحتضِنهم بالبر والإشفاق
وتحمَّلْ عيوبَهم واسعَ الصد ر، وإن أثقلوك من إرهاق
فشعارى — أبا، وزوجا، وفى صَحْبى — هو « الجبن سيد الأخلاق »

---

(١) الجدة : عكس القدم .
(٢) المآثر : المكارم ، والواحد مأثرة .
(٣) آنسا فيه رشدا : وجدا هداية وحكمة .
(٤) دنها : الوعاء الذى تحفظ فيه الخمر .

أمي في ذكراها الثامنة

إذا طال - يا أمي - عليك تفجُّعي ... وعزَّ سُلوِّي عنك بعد ثمان

فلم أر أُماً، منكِ أحقَ بوُلْدِها ... وأرضىَ لهم في شدة ولِيَان

كأنهمُ ضيفانُها في جِوارِها ... تروح وتغْدو فيهم بحنان

تحيِّيهمُ من كفِّها وفؤادها ... بوجهٍ بشوش في أرق بيان

إلى الساخطين

أيُّها الناعقون بالشؤم فينا ... ليْست الأرض مسرحاً للمَشاهد

لا، ولا ملعباً للاهين، أو مشفىً لمرضَى، أو محضَناً لولائد(1)

لا، ولا ساحةً لنهب وقتل ... تمسخ الناس كالوحوش الأوابد

إنها دارنا، ونحن بها الإخوة، فلْنأتلفْ معاً، ولنجاهد

لا بكاء على خائنة

أمن تذَكُّرِ من خانتك، ظَالمة ... لنفسها، تشتكي؟ كيف يا رجل؟

أنتَ الذي يقتدي غُلْبُ الرجال به ... في البأس والصبر، مهما تفدح العلل(2)

ما في دموعك أو شكواك نَيْلُ مُنىً ... وإن بكى لأساك السهلُ والجبل

فاحفظ حياءك، ما في الأرض خائنة ... تُبكىَ على الهجْر، لو أن الورى عقلوا

---

(1) المحضن: مكان حضانة الصغار. والولائد: الصغار، واحدها وليدة.

(2) غالب الرجال: واحده أغلب، وهو القوى الشجاع، والأغلب الأسد أيضا.

كلُّنا خُطاة

يا بنى آدمٍ وحواءَ ، قد كا ن أبوكم وأمكم خاطئَين(1)
فورثنا جميعُنا عنهم الخطْ ء ، فلم نخْلُ من قصورٍ وشَين(2)
فَعَلام انتقاصُكم بعضُكم بعـضا ، لأخطائه ، بصدق ومين(3)
سدِّدُو الخاطئين ، أو فاعذروهم ، أو دَعُوهم لربهم دون دَيْنِ(4)

خطيئة الأسرياء وخطيئة الدهماء

جار السراة على حق الضعاف ، بلا ضرورة ، فاستفاض الحقد والحسدُ
ظنوا السعادة سلْبَ الناس حظهمُ من النعيم ، فأشقَوْهم ، وما سعدوا
لو أنصفوهم لأرضَوْهم إذنْ ، ورضُوا وعمَّ فى الجانبين الأمنُ والرغد
جبنُ الأذلاء أغرى الأقوياء بهم ولو أَبَوْا ذاك ما جاروا ولا فسدوا

الوحدة العالمية

أيأتى زمانٌ يجمع الناس كلَّهمْ على العدل والإحسان فى وحدة معا ؟
وهل كان هذا الناس قبلُ ، إذا دعوا — كما زعموا — أهدَى لخيرٍ وأسمعا
لئن صح ما قالوا فإنهمُ غدا سيمضون للحسنى ـ مع الحب ـ أجمعا
ويا غبطتى فى القبر يومئذ بهمْ إذا ما غدَتْ شتَّى المجامع مَجمعا

---

(1) آدم وحواء رمز للأصل البشرى .
(2) الخطء : الخطيئة . والشين : العيب .
(3) لأخطائه : بسببها . المين : الكذب .
(4) سددوهم : أرشدوهم : الدين كالدينونة : الحساب .

غنى النفس

أغيرُ غنى الآداب يطلب عاقل؟ وكلُّ غنىً لم تحوهِ النفسُ باطل

إذا ما كنوزى لم تزدنى فضيلة فليس وراء المال والمُلْك طائل

فمن يك مزهوًّا بمال ومنصب وجاه وبأْسٍ فهو أحمق جاهل

وما المرء إلا ما حواه إهابه وليس سوى الآداب للنفس نائل (١)

إلى كل مصلح

نهضتَ تصلحُ هذا الناسَ من سفَه والمصلحون عدُّو الناس مذ كانوا

لو أنهم رغبوا أن يصلُحوا صلحوا فالله للمرء - فيما شاء - معْوان

دعْهم يهيموا كما تُملى عمايتُهم فإنهم عن سبيل الخير عُميان (٢)

الشرُّ إن يدْعهم خفُّوا له زُمَرًا والخيرُ إن يدْعهم لبَّاه وُحدان (٣)

طريق الإنصاف

لم تشكون ظالميكم ، وفى أيديكمُ كبحهمْ بغير ظهير؟ (٤)

إنما أغراهم بكمْ أمْنهمْ منكمْ مجازاةَ ظُلمهم بالنظير

فادفعوا ظلمَهم بما هو أدْهى منه ، أو فاخنعوا بغير هرير (٥)

إن رهطا لا ينكرُ الظلمَّ بالمثل لأهلٌ للهُون والتسخير

---

(١) الاهاب : الجلد . والنائل : العطاء .

(٢) العماية : العمى والضلال .

(٣) خفوا زمرا : أسرعوا جماعات . ووحدان : مفرده واحد .

(٤) الظهير : المساعد .

(٥) الهرير : صوت الغنم ، وصوت الاسد .

خسارتك ربح لغيرك

ياصاح،ليست لك الدنيا ، ولستَ بها فردا ، فتسخطَ إن خابت مساعيكا

ما شذَّ عنك من الدنيا فعند أخٍ فافرح بأن ناله من فيض واديكا

لا شيءَ تخسرُه إلا يحصِّلُه ساعٍ سواكَ ، غِناهُ عنك حاميكا

فافرح بكسب،ولا تَحزُنْك ضيعتُه فقَدْ حواهُ أخٌ نادِيه ناديكا(١)

تنازع الاحياء

كلُّ حيّ شكاالسلاحَ،وشنَّ السـ ـحربَ ، ما بين هذه الأحياء(٢)

كلنا يشتهى هلاكَ سواه وهو ماضٍ فى سَعْيه للبقاء

وَىْ ، كأن الحياةَ ميدانُ حرب ما به هَدْأةٌ لأدنىَ صفاء

عجبا ليس ينتهى ، أوَ لسْنا عالمًا واحدا أصيلَ الإخاء ؟

إسفاف الجماهير

ما للجماهير ، لا تنفك مولعةً بطاعة الدُّون فى جد ، وفى لعب

لا تستجيب لصوت الخير إن دعيت ولا تساس بغير العنف والكذب

ما إن تسلـَّط جبار ليسحقها إلا استجابت بفرط الشوق والطرب

والحقُّ منها جزاءُ المصلحين لها والبغىُ،عن سبب،أودون ماسبَب

---

(١) النادى : أهل الانسان ، أو المكان الذى يجتمعون فيه .
(٢) شكا السلاح : شهره ، وسن الحرب : أعلنها .

توبة الشيخوخة

صلِّ خمسين، أيها الشيخ، لا خمــسًا، وبالغ، فطالما قد عصَيْتا
واستعذ بالرحيم من كل سوءٍ ليس إلا الأشواكُ فيما جنيتا
قد زَهِـدْتَ الآثامَ إذ زهدَتْ فيـــك، ولو كنت قادراً ما ارعويتا(١)
ليس إلا الصـــلاحُ سلواكَ فى عجـــزك، مادمتَ من كلال ذَويتا

إصلاح الكون

أتطلب لِلْكون الصـــلاَح؟ وإنه على أسُسِ الفوضى أقيم وشُيِّدا
سيزداد— إن أصلحتَ فيه—فسادُه وينهار من أركانه ما توطّدا(٢)
تَبارك باريه، فلو شـــاء رشدَه مضى راشدا فى سعيه حيثُ سُددا
ولكنه بالخير — جل جلالُه — وكلّ كمال، دوننا، قد تفردا

مكايد الحب

أيها الحبُّ، أنت شيطانُ سوء ما جنٌ مولعٌ بهتك الأضاحى
ما توقّيتَ فى مُغاركِ عِرْضاً قطُّ، إلا عرّضتَه لافتضاح(٣)
أنت أقسى فى الخلق من قبضَة الموت، فتعْساً للـؤمك الفضاح
أنت داء، وفيك خُبْثٌ وغَشْم مع رفقٍ تُغْرى به، وضاح.

---

(١) ارعوى: رجع عن ضلاله.
(٢) توطد: ثبت ورسخ.
(٣) المغار: الاغارة فى الحرب.

صحبة الرعاع

دانِ الرعاع – مع العِلاَّت – فى حذر كما تُدانى ذوات الناب والظفر[1]

واربأ بنفسك أن تسعى لودّهم فالجهل رائدهم فى الوِرْدِ والصدر

لا عقل يَهدى خطاهم أينما نزعوا بل هُم وإلفهُم فى العرف والمنكر[2]

واضيعة الفضل فى دنيا الرعاع ، وقد هانوا ، فهان لديهم كلُّ ذى خطر !

وحشية الآدمى

ظن قومٌ أن ابن آدم مطبو ع على الخير ، وهو – أصلا – بهيمُ

قد ترقَّى ، لكنه لم يزَلْ وَفْقَ هواه فى كل واد يَهِيم

واستوى قامةً ، ومازال « ذا الأر بع » فيما يُسام ، أو ما يُسيم[3]

لم يزل – بعد – فى خلائقه وحشا ، وشرُّ الوحوش إِنْسٌ غشيم

سادة محدثون

قد لقبوا « سادة » زورا ، وما عرفوا من السيادة إلا العنفَ والدَجلا

جبن ، وغدر ، وإسفاف ، وغطرسة شأن البغايا التى لا تعرف الخجلا

وما لهم قطُّ عِرْقٌ فى الكرام بنى بكُبْرٍ زعمهمُ فى العز ، مرتجلا

عارُ الرجولةِ هم : إن يأمنوا فجروا وإن يخافوا يذِلوا فى الثرى وجلا

---

(١) العلات : الاسباب الضرورية .

(٢) لايستقلون بفكرهم فى سعيهم ، كما ألفوا فيما يرضون .

(٣) اسام الماشية رعاها أو ارعاها ، اى ارسلها لترعى ، وهى سائمة اى راعية ، وهى تسام اى ترسل للمرعى . ذا الاربع : كل مايمشى على اربع قوائم .

وحشة اضطرارية

عجبتم ـ على قرب الديار ـ لوحشتي ... وما هي إلا أنكم هجتمُ صدري

وأعجب منها أنكم تنكرونها ... كما تنكر الريحُ الهياجَ من البحر

ولو لم يهجه عصفُها ما تلاطمت ... أواذيُّه من صوب عبرٍ إلى عبر (١)

لأولى بكم كفُّ الأذى لا تهيجوا ... فؤادى ، وما يطوى من الود والبر

السعادة فى الأخوة الإنسانية

نال السعادة من يسعى لها قُدُما ... بالعدل والبر ، لا بالظلم والجشع

فكن أبا وأخا وابنا لجنسك : من ... شتى الديانات والأقوام والشِّيَع

فالناس كلُّهم أهلٌ ، وأكرمهم ... من شارك الناس فى أمنٍ وفى فزَع

وأكرمُ العيش ما امتدت أواصره ... برًّا ، ولم يغلُ فى زهد ولا طمع (٢)

عزة

تجنبْتُ سفسافَ الأمور ترفعًا ... وعشتُ ـ وطرفى ساكنٌ ـ عيشَ هائم (٣)

ونزهت نفسى عن مطامعَ مرَّغت ... وجوه رجال فى وحول الألائم (٤)

وما فاتنى خير أصابوه ، غير ما ... يتيه به الأنذال تيهَ البهائم

وكلُّ امرىء رهنٌ بما ضمّ جلدُه ... وتوفيقه فى السعى بين العزائم

(١) استعملت هاج متعدية هنا بمعنى هيج ، والامر اذى الامواج ، مفردها آذى وهو الموج ، والصوب الجهة ، والعبر الشاطىء .

(٢) اواصر : جمع آصرة ، وهى الرابطة .

(٣) سفساف الامور : دنيئها ، والطرف : العين .

(٤) الوحول : مفرده وحل ، الالائم مفرده الام اسم تفضيل من اللؤم .

أصالة الشر

اعجبْ لأخيار هذا النّـاس إن وُجدوا لا الفاسدين ، فهم ـ بالطبع ـ أشرار
من ظن بالناس خيرا عاش فى كـبد فجلهُـم ـ حيث شاموا السوء ـ كرّار
لم يتقوا حرمةً تحمى أواصرهم وما نجا من أذاهم فى الحى جار
ولست أطهرَ منهم ، غير أنىَ إن عـثَرْت أندمْ ، و كل الناس عثّـار

ابتذال الحسن مَضيعة

رُبّ حُسْـنٍ أضاعه بذْله فى كل سوق ، فعافه كلُّ شار
وحوته أيدى الصعاليك حتى هان هُونَ التراب والأقذار
كلُّ بخْـس ـ بالصَّوْن يغلو ، ولا قيِّـم ـ إن يُبـْتذل ـ لغير احتقار
فلتصن عرِضها عن الرِّيب الحسـنـاء أوْلاَ فسوْفُـها للبوار

نصيحة معكوسة

لا تفعل الخير إلا مـكرها أبدا فالناس أجمع للأخيار أعداء
يلقونهم بالأذى أيان ما ثُقفوا بينا الشرار لهم صحب أودّاء
وهم من الحمأ المسنون قد جبلوا فـكلهم فى سبيل الشر عدّاء
وهل طغى مجرم إلا استجاب له منهم دعاة وأجنادٌ أشداء

نظامٌ يوميّ

أُبَكِّرُ ليلتى نَوماً وَصحواً   وأغفو فى الظهيرة إذ تئون(١)

فتبدو ساعُ يومِىَ فى نهارى   وفى ليلى كأطول ما تكون(٢)

وأنظِمُ بينها عَمَلى برفق   وأُنفِذُه كما تقضى الشُئون

ولو لا نظمُه أرْبَى وأضْنَى   ولكن --عند قسمته— يهونُ

إصلاح الدنيا

لنا هذه الدُّنيا ونحنُ لها معاً   فهل بعدَها دارٌ لنا حينما نفنى

عمينا، فقدَّسْنا الأساطير، فالتوت   علينا أمورٌ ما التوت لو تبصرنا

فلم نلحق دنيانا بما ينبغى لها   لنملأها رغدا ، ونجلوَها حُسْنَا

وهِمْنَا بغَيْبٍ ماعرَفنا طريقَه   يقينا ، ولولا الحمقُ لم نُؤثِرِ الظنَّا

داء السؤال

يستنبونك عن أسرار غيبهمُ   فهل لديْكَ بما يبغونه نبأ ؟(٣)

وما توخّيك إحقاقَ الأمور لهمْ   من غير جدوَى، وهمْ بالحق ماعبأوا؟(٤)

لو أحسنوا يومَهم خُبْراً لحقَّ لهمْ   أن يسألوا بعدُ «من عادٌ؟» و«من سبأ»

لكنَّ داءَهُمُ حبُّ السؤال ، فهمْ   كالصبية الزُّغْبِ دنياهم «مأ» و«بأ»(٥)

---

(١) تئون : جاء اوانها ، وهو وقتها (٢) ساع :جمع ساعة

(٣) توخى الطريق : قصده ، الجدوى : المنفعة . عبأ به : اهتم به .

(٤) فهم الحاضر اساس لازم ضرورى لفهم الماضى ولفهم المستقبل ، فمن جهل يومه لم يفهم ماضيه ولا مستقبله ، ومن جهل الماثل امامه لم يفهم ما غاب عنه ، والاعتراض هنا على من يسألون عن اخبار الماضين او اخبار الآتين ، قبل ان يدركوا أحوال المعاصرين ، وكذلك الاعتراض على من يسأل عما غاب عنه ، وهم لم يدرك الماثل امامه ، ولا بد من ادراك الاساس وهو الحاضر والشاهد للقياس عليه فى المعرفة ، اذ لا بد أن فيها ان ينتقل الانسان من المعلوم الى المجهول .

(٥) « مأ » و « بأ » حكاية لاصوات لاطفال فى دعائهم الآباء والامهات لمجرد الثرثرة .

حق العدل

متى يعرفُ المصريّ في العدل حقَّه ... فيرهبَ شتّى ظالميه، ليعدلوا

متى؟ لا متى، حتى يرى أنّ موته ... أحبُّ له من عيش ذلٍّ، وأمثلُ

ويشهرَ في وجه الجبابر سيفَه ... ليردِيَ، أو يُردَى به حين يُهمَل

فبطنُ الثرى خيرٌ له من صعيده ... إذا لم يكن إلا المذلّةَ موئلُ(1)

الناس بين الخير والشر

لا يروّعنك أن ترى الشرَّ في النا ... س عميماً، فالشرّ فيهم أصيلُ

وإذا ما رأيتَ خيرا فباركْه، وإن قلَّ، فهْو فيهم دخيل

إنهم والوحوشَ في الأصل إخوا ... نٌ، فهُمْ كيفما تُميلْ يَميلُوا

وُهِبُوا دونها العقولَ فزادتْهم ولوعاً بالشر، وهْوَ وبيل

الرِّق الخفيّ

هلِّلوا - ياعبيدُ - والهُوا، وغنّوا ... وتمنَّوْا شتّى الأمانِي، ومَنُّوا

دولةُ الرق - يزعمون - تولّتْ ... لم يَعُدْ في الأنام حرٌ وقِنٌ(2)

جعجعاتٌ سمعتموها، فخِلتُمْ ... أنها الحقُّ، والدعايةُ فنُّ

ألكم آذانٌ بغير عيونٍ ... ورءوسٌ - ماهبّ ريحٌ - تطنُّ(3)

---

(1) الثرى : التراب المبلل تحت وجه الارض، والصعيد : وجهها. والموئل : الملجأ.

(2) القن : العبد.

(3) تطن : تصوت لانها جوفاء.

المسئولية الفردية

عفا الله عنكَ ، أتحسَبُ أنّى أجهلُ قدْرى ليرضَى الطغامْ[1]
إذا أنا لم أحمِ نفسِى وأحفظْ لها قدرَها فى زحام الأنام —
فأين الملاكُ من الناس يَحمِى حماها ، ويُكرمُها فى سلام
رِضا الخلقِ أهونُ شىء علىَّ إذا لم أنلْ فيهمُ الاحترام

عزاء المصلح

أتجدُّ ، والأقدارُ هازلةٌ ؟ أقصِرْ ، فهذِى أكبرُ الكُبَرِ[2]
من حولك الأحداثُ أجمعُها عِبَرٌ ، فلا تغترَّ واعتبرِ
رِفقا بنفسِكَ كدْتَ تبخَعُها أسفاً ، لعجزِكَ عن هُدَى البشرِ[3]
ما أنت خالقُهُم فتصلحَهُمْ بل فردُ عبدٍ ضيقِ القُدَرِ

أعذب الشعر

أعذبُ الشعرِ أصدقُ الشعر ، لا أكذبُه ، لو عقلتُمُ ما يقالُ
ليس يرضَى بالزيف فى الفنِّ والأخلاق إلا الأراذلُ الجُهّالُ
صدقُ هذا كصدق هذى ، وإن يختلفِ النهجُ فيهما والمثالُ[4]
ولَصدقُ الفنون أعلى وأهدَى إن دعا القلبُ واستجاب الخيال.

---

(١) الطغام : سفلة الناس .

(٢) الكبر : الكبائر من الذنوب .

(٣) بخع نفسه : قتلها .

(٤) المعنى أن الصدق واحد فى الفن والاخلاق ولكن الخلاف فى الاسلوب والشكل ومن هنا كان الصدق لازما فى الفنون لزومه فى الاخلاق ، بل أشد ، لان الفنون تملك من وسائل التصرف أعظم وأكثر مما تملك الاخلاق .

إلى اللقاء

لتقولى « إلى اللقــــاء » إذا كا ... ن افتراقٌ ، ولا تقولى « الوَداعا »
إن هذا « الوَداع » يُوحِى بأن ليــــس لقــاءٌ ، فيُوجعُ الأسماعا
ويَهيجُ القلوبَ بالشؤم والخو ... ف ، فتمضِى مع الشكوك شعاعَا(١)
ونداءُ « اللقــاء » يُؤذِنُ بالخيــر ، ويُحيي الذِّكرَى ، ويُوحى المتاعا

الداء الحقيق

ما داؤكم فقرٌ ولا جهل ولا ... مرض ، ولكن فرط لؤمٍ مطبق
كم قام فيكم من رشيد صالحٍ ... فنبذتموه ، ولذتم بالأحمق
وسعيتم كالشاء تحت عِصِيِّه ... متواثبين على الطريق الضيق
هيهات ما لم ترعَوُوا عن لؤمكم ... إصلاحُ رهطٍ فيكم أو مَرْفِق (٢)

نشأة سويّة

لك الحمدُ — يا ربى — على أن خلقتنى ... سَويًّا ، وأن قيَّضتَ لى أسرتى فضل
وهل كسواء النفسِ والجسم نعمةٌ ... يتمِّمُها من أُسِّها كرمُ الأصل (٣)
نشأتُ أحس الأرضَ دارى ، وأهلها ... وإن بعُدوا فى العصر أو فى الحمى أهلى (٤)
فما فى فؤادى للبلادِ وأهلِها ... جميعاً سوى الإحسانِ والحب والعدل

أهو الحب ؟

عجبا كلما رأيتُك زاغت ... نظراتى ، وزاد صدرى اضطرابا
وعصانى الكلامُ والفكر ، حتى ... لا أرى لىْ إلا الوجومَ مآبا
وإذا ما رأيت غيرك فى الغيــد أرانى كما عهدتُ صوابا
أهو الحبُّ ؟ إن يكن فالمحبو ... ن أشد الورى ضنىً وعذابا

---

(١) شعاعا : متفرقة (٢) ارعوى عن الامر : رجع وتاب عنه .
(٣) سواء النفس : سلامتها وتمامها .
(٤) أى : وان بعدوا عنى زمانا أو مكانا .

منطق معكوس

ويل قوم أولى لجاج وسُخْر ... فى أخس الأخس من كل أمر

فإذا حاقت البلايا ، وحقَّ البـأس - كانوا أولى سماح وبر

وتغاضوا كأنما ليس من شيء ، فلم يُجره لسانٌ بذكر

عجبا ليس ينتهى الدهرَ من أحـواله ، كلما خطرْن بفكر

شقاء الثكل مزمن

تمرُّ الليالى منسياتٍ ولا أرى ... سوى الموت يُنسى والدا فَقْدَ مولود

لأفسد عيشى كلَّه ثُكلُ «فيصلٍ» ... فصرتُ كموجود ، ولستُ بموجود

فتاىَ الذى أعددتُه لخلافتى ... وأنسِ حياتى فى غياهبِها السود

أأفقده ؟ واطولَ هونِى وحسرتى ... إذا طال عُمرى دون ألزمِ مفقود

ولادة الذكور والإناث

أإن ولدَته ابناً تَصِحْ «قد ولدته» ... وإن ولدَتْ بنتاً تَقُلْ «رزقَ اللهُ» ؟[1]

هل انفردت أمٌّ بتكوين نسلِها ... وهل كلُّ زوجٍ تطلُبُ النسلَ تعطاه ؟

فيا ويحها مظلومةً طال ظلمها ... وعمَّ ، إلى أن صدَّقت زُورَ مغزاه

وليس كظلمِ النفسِ ظلمٌ ، ولا ترى ... كظلم ضعيفٍ نفسه خاب مسعاه[2]

---

(١) هذا هو عرف الدهماء وكثير من العلية فى الامم المتخلفة ولا سيما الطبقات الفقيرة .

(٢) من خلائق الضعيف اذا ظلم أن يقاوم الظلم ، فاذا فقد القدرة على المقاومة ثم يئس من العدل عاد على نفسه ليتهمها باستحقاق ما يصيبها من الشر ، وظلم الضعيف نفسه على هذا النحو هو أفدح ظلم وأعصاه على العلاج .

حكمة أو لعنة ؟

واشقائى بحكمتى ، صرت لا آ سى َ لشر ، ولا أُسَرُّ لخير
فكأنى اجتُثَّتْ جذورُ حياتى فعفتْ، أو مُسِختُ جلمودَ صخر(١)
أو تخطتنىَ النواميس ، وأنبتَّت صِلاتى طراً بجنسى وعصرى(٢)
حكمةٌ تلك ؟ بلْ هى اللعنةُ الكبرى ، وخيرٌ منها ضلالةُ غِرِّ(٣)

ما حكمة الكون ؟

أهبتم بنا « إنا خُلِقْنا لحكمةٍ » صدقتمْ ، فهذا الكون صُنعُ حكيمِ
ولكن أجيبُونا « لأيّة حكمةٍ ؟ » فكلُّكُمُ بالسر جِدُّ عليم
ولا تتركونا ضائعين ، فتركُنا نضيعُ ضلالا — ليس شأنَ كريم
ونحن لكم أهلٌ ، وإن ضلَّ سعيُنا لجهلٍ أصيل فى الطباع قديم

خيبة

إطوِ الفؤادَ على ما فيه من شجَنِ فلا رفيقَ على سرٍّ بمؤتمن
وايأسْ من الناس والدنيا ، فما لك من عونٍ لدى الناس والدنيا على المحَن
ولا تُبالِ بمن ضلوا ومن رشَدُوا فما يشأ ربُّهُمْ فى أمرهم يَكنِ
ما أنت رب ، ولا هاد ، ولا ملكٌ ففيم تبكى لما حادوا عن السُّنن(٤)

---

(١) اجتثت : قطعت من أصلها ، وعفت : ذهبت .

(٢) انبتت صلته به : انقطعت : والمعنى : كأن نواميس الحياة التى تسير الاحياء وتمدهم بقواها صارت لا تسرى على ، والروابط مقطوعة بينى وبين الناس وبينى وبين الزمن .

(٣) الغر : من لم يجرب الامور .

(٤) السنن : النواميس الكونية والانسانية .

صبوة الكهولة

أترانى أضعتُ ما كان يُذكِى لهبَ الحب فى دمى وفؤادى ؟
قد بلغتُ الخمسين لكن أرانى كسبُوحٍ فى عَيلمٍ ميَّاد[1]
لم تُغير منى سوى أن جَلَتْ عقلى ، وزادت من حيلتى ورشادى
إننى صرتُ مالكاً كلَّ أمرى بعد أن كان للحِسان قيادى

ندماء الظلمة

تِهْتُم علينا بأن الله أكرمكم ولو عقلتمْ لما تِهْتُم على أحد[2]
هل فى مقاربةِ الطاغين مَكرُمةٌ لكم من الله يرجوها أخو رَشد
وهمْ ذئابٌ ضَوارٍ ، كل همهمُ هضمُ الحقوق ،ونشرالسوء واللددِ؟[3]
أوْلى لكمْ ـ لوعقلتم ـ هجرُ جانبهم فإن قُرْبَ ظلوم وصمةُ الابد[4]

الوأد الجديد

شاهتْ وجوهٌ :إذا ما قيل«قدولدَتْ أنثىَ »التوَت،وعلاهاالضيقُ والكدر
هل تخلق الأم ما تهوى؟أو انفردت بخلقه ؟ ومن الزوجات والأَسرُ ؟[5]
ألاحياءَ ؟ ألا إيمان يَعصِمكم عن العبوسِ لها فى أحرج الخطر ؟
لم تجن ذنباً ، وأنتم تضْجروُون بها ما أقرب الوأد ـ فى شر ـ من الضجر

---

(١) السبوح : القوى السباحة . والعيلم : البحر العظيم ، والمياد : المضطرب .
(٢) تاه عليه : زها وتكبر .
(٣) اللدد : شدة الخصومة .
(٤) الوصمة : العار ، وأصلها العلامة .
(٥) المرأة لا تلد ذكرا أو أنثى كما تحب ، وهى لا تنسله وحدها ، بل هى ورجلها ، بل إن ذلك يرجع للرجل أكثر ، وإذا لم تلد المرأة بنات ، فممن يتخذ الرجال زوجاتهم ؟ وكيف يمكن تكوين الاسرة التى هى مصدر الاخلاق والسعادة لكل بشر من ذكر أو أنثى ؟

المرأة غايتها الرجل

يمـلأن المجامعَ يعرِضْن فيها محـاسنَهن بشـتى الحِيَـلْ
وقد ينتحلن التعلات مكرا وليس التعلاتُ كفءَ العلل[1]
ويُطلِعْـن فى الليل شمس النهار وينكرنها وهى تشوى المقل[2]
وما همن قط بغير الرجال وما قط أعيَيْن إلا الرجل[3]

جرائر التبذل

دعى التبذل فى قول وفى عمل إن التبذل لا يُغرى سوى السِّفَل
فى حسنك المحض ما يُغنيك عن خدَع تشينه، كذباب غاص فى عسَل
صونيه تزددْ لدى الأكفاء حرمتُه فيرخُصوا فى علاه أنفسَ البدل
من ليس يُغلى مزاياه ويُحصنها يَزِلَّ عنها، فيسقطْ، ثم يُبتذَل

فئة ضائعة

لهفى على فئة، فى جهلها احتضنت رعاعَها، حين عقت كل موهوب
فلا الرعاع رعوها حق رَعْيتها إذ فَلُّها بين مهتوك ومسلوب
ولا الكفاةُ أعانوها، وقد نُبِذوا نبذ العداة، وضِيموا ضيم مغلوب
ياويلها، ويلها، من سوء خطتها لو كان فى نُدْبة غَوْثٌ لمندوب

(١) انتحل الشىء: زعمه لنفسه زورا، والتعلات: الاسباب الكاذبة، والعلل: الاسباب الصحيحة.

(٢) يقلن فى الليل انه نهار، وفى النهار انه اليل، ويظهرن غير مايخفين، ويقدرون الاشياء على غير مايقدرها الرجال وذلك على وفق أهوائهن وضعف المنطق والتفكير عندهن.

(٣) الرجل هنا الكامل الرجولة، وكلما كان الرجل اتم رجولة فى فضائله بعامة كان اهتمام المرأة به أكبر ورغبتها فى الحصول عليه أشد، ولكنها لا تكف عن اتطابه بالامتحان الدائم: اما استمتاعا بتجربة فضائله، واما رغبة فى الوقوف على مكانتها عنده، واما لشكها فى قدرتها وتسلطها عليه، واما ادلالا وزهوا عليه، أو زهوا به، وهى لا تكلف الرجل الضعيف مثل هذا الامتحان والمشقة.

تعلَّمْن ، لا رغبةً فى العلومِ ولكنْ ، ليُحْسِنَّ أسْر القلوب
وزاحَمْننا فى حروب المعاش فزِدْنا شقاء بهذِى الحروب
وأعوزَنا المهْرُ لمَّا سددْن بأعمالهنَّ علينا الدروب
ولو لمْ ينازِعْننا الرزقَ شِدْنَا لهن البيوتَ ، وصُنَّا الجيوب[1]

ظاهرهنَّ وباطِنهنّ

ألفُ زىٍّ لهُنَّ ، بل ألفُ ألفٍ فى كساء وزينةٍ وكلام
والخفايا بعضٌ شبيهٌ ببعض رغْم شتىَّ الأشكالِ والأحجام
هنَّ — معنىً — كأنهنَّ شقيقا تٌ تؤامٌ فى جوهر وقِوام[2]
تلك — يا صاح — عبقريةُ حوا ءَ حبتها البناتِ فى الأرحام

أبناء الكرائم

لو كنتمُ أبناءَ أمهاتٍ كرائم — لم تَزْهدوا البنات
أو تحقِروا الزوجات والخلاَّتِ أو تهملوا العماتِ والخالات[3]
أو ترجموا النساءَ مخطئات أو تضربوهنَّ على الزلاَّت
وهنَّ فينا رسُلُ الحياة والواصلاتُ ما مضى بالآتى

---

(١) شاد البيت : طلى حيطانه ، وصان الجيب : حماه وحفظه .

(٢) تؤام : جمع توام ، وهو المولود مع غيره ذكرا أو انثى ، وقوام الامر : نظامه ، « معنى » هو تمييز بين المبتدأ وجملة الخبر .

(٣) الخلة : الصديق للرجل والمرأة .

المهازيل الهازلون

يا ويل قوم، إذا ماغمة حزبت هبّوا لتفريجها بالسخر والضحك
أقصى جهادهم شحذُ النكات، إذا ضاق البلاءُ بهم في أي معترك
لا يحفلون بأمر يبتلَوْن به كأنهم قد علوا عن دارة الفلك
ما نال صعلوكُهم أمرًا يدبره إلا التوى وطغى في صولة الملك

إلى صديقتي النيجرية

كلنا إخوة: فآدمُ — في البد ءِ — أبونا، وأمنا حواء(١)
إنما الناس بالفضائل والعقـل، ولكن جلودُهم أزياء
أنت مثلي رُوحًا، وفكرًا، وإحسا سا، وأهواؤنا جميعا سواء
أنت أختي، ولستُ إلا أخًا، فلـنحيَ أهلاً كما يحقُّ الإخاء

العظيم بين النعيم والجحيم

ليس في الكون موضع لجحيم حيث تلقى خلاًّ يعي ما تعيه
وجنانُ الأخرى جحيم إذا أقفـرن من صاحب يَرى ما تُريه
عزلةُ النفس فوق كل عذاب في حياة العظيم بين ذويه
أهلهُ من يَعُونَ عنه، وليسوا كلَّ أرحام أمـه وأبيه

متاعب العزوبة

لكلِّ امرئ عُرسٌ تُهدهِدُ قلبَه وتؤنس مغناه صباحَ مساءَ
وتكفيه — إذ ترعاه — تدبيرَ عيشه وتملأ عطرا قلبه وضياءَ
وإن جرحتْه الحربُ تأسُ جراحه فيُشفَى، كأن لم يلقَ قبلُ عناءَ
وهأنذا وحدي، وما لي أنيسةٌ سوى الكتْب، لكن لا تفيدُ شفاء

(١) آدم وحواء رمز للاصل لبشرى ووحدته .

عاقبه الترف

[كان هـذا الوجيه يعيش فجورا بين عشيرته فيعتدى على أملاكها ، ويهتك أعراضها ، ولما استرخى زمامه اقتدى به أهله وعشراؤه ، فدب الفساد فى قصره ، وفاحت مخازيه ومخازى نسائه خارج الأسوار ، حتى صارت حديث العشيرة وغيرها ، ومن العجب أنه لم يعتبر ولم يزدجر ، بل زاد ضراوة وتهتكا وفجورا ، دون أن يرعى حرمة لقريب أو بعيد ، أو يميز بين حرة وساقطة ، وأعجب من ذلك أن أمناءه لم ينصحوه ، فضلا على أن يتجنبوه ، وأن العامة لم يخذلوه ، بل زاده هؤلاء وهؤلاء ثناء وتـكريما ، ثم انتصروا له — وهم ضحاياه — ضــد كل من حاول أن يصلحه ، وأن يـكف عنهم وعن أملاكهم وأعراضهم شره . . . ثم حلت به النقمة فهوى هو وصحبه حطاما ، دون أن ينصرهم أحد ، وصدقت فيه الآية القرآنية : وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففَسَـقُوا فيها ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميرا »] .

عجبتُ له ـ والعار أخلق عرضه — يجور ويستعلى بغير حيــــاء
وأعجب منه أن صرعاه كلما طغى شره — أولوه خير ثناء
وأن ردّهُ عنهمْ أباةٌ ـ تجمعوا عليهم ، وخصوهم بشر جزاء
وكيف لآسٍ أن يعـين عليله إذا كان يأبى منه أىّ دواء

الأنس الموحش

أشدُّ مكانٍ وحشةً — خِدرُ زوجة خلَت مع زوج ، والهَوَى هوَانِ
فذاكَ جحيمُ الجسم والروح والحجا وهل من جحيم غيرُ غربة دانِ ؟
وأتعَسُ زوجٍ — عبقرىّ مهذَّب له زوجةٌ حمقــــاء ذات لسان
إذا ما تحاماها ، ليَخلُوَ ساعةً إلى نفسه — سامَتْه شرَّ هوَان

عيشٌ وحل

أوحلتِ عيشى بلا ذنب جنيتُ، سوى   عطفى عليكِ، وعفوى عن خطاياكِ
إذ قلتُ « بائسةٌ ، طال الشقاء بها   فامسح دموع الضنى من عيشها الباكى»
فما ضممتُكِ حتى سال يُغرقنى   طوفان شؤمك فى أغوار مهواكِ
فإن نجوتُ فعمرٌ جدَّ لى، وإذا   هلكتُ لم أكُ إلا من ضحاياكِ

النساء فى حياة الرجال

قالوا « النساءُ معيناتُ الرجال على   كيد الزمان » وهن الويل والحرب
هن الحوانى عليهم كلما نُكبوا   والآسياتُ، ولولا هُنَّ ما نكبوا
لم يغنموا مغنماً إلا لهنَّ، وما   سوى رضاهن عنهم مغنما طلبوا
إذا ابتسمن أضأن الليل حولهمُ   وإن عبسن فلا شمس ولا شُهُبُ

همتى

مُذْ بلغتُ العشرين لم أسأل اللـ   ـه ثراءً أو سؤددا من حيائى
إنما همتى التبحر فى الآ   داب حتى أرقى ذرى الأدباء
فإذا ما أتممتُ شعرى ونثرى   عاليا فهو سؤددى وثرائى
وبحسبى — رزقاً — كفافٌ يوقـ   ـينى سؤال اللئام والكرماء

استقلال الرأى

للناس دينُهم ودينى لى   فإذا انفردت فليس يشجونى
أنا لا أبالى أن يخالفنى   فى الحق منهم ألفُ مليون
قد تُجمعُ الدنيا على خطأ   فيُرى المصيبُ بها كمجنون
من كان يُفزعه الخلاف فما   هو — إن رأى حقا — بمأمون

الألقاب الزائفة

كنَّا نرى لذوى الألقاب منزلة ... كأنهم قِمَمٌ فى الفضل والحَسَبِ
حتى دُهينا بفيض من زيوفهم ... قد لقبوها بلا عقل ولا أدب
هم الطواغيتُ والأحبار ، ما ارتفعوا ... بين الجماعات إلا رفعة الحبب
طاغوتهم — مثلما تعلو البغىُّ — علا ... وعلم حَبْرهمُ حَطْبٌ من الكتب

الصِّهر

لا تصاهرْ مَن هان يوما عليه ... أبواه ، وإن علا فى المكان
من تهن أمُّه عليه فكلُّ امرأةٍ عنده لشرٍّ هَوان
أو يكن هينا عليه أبوه ... لا يبالِ الفضوح من إنسان
زوجهُ إن تطِعهْ يُجْرِمْ ، وإن ثا ... رت هوت فى مزالق الشيطان

حفظ السر

حزنت لسانى عن صديقى كلهم ... وإن ضاق بالكتمان منحرج صدرى
فلم أر فيهم حافظا عند محنة ... وإنشاركونى بعضما خفمنوزرى
أأطمع فى كتمان سر أذعتُهُ ؟ ... وإن أنا لم أكتم فمن كاتم غيرى ؟
أما أنا أولى بالملامة منهم ... إذا ما أذاعوا ما أذعت من السرّ ؟

كتمان الامتياز

أخف امتيازك عمن أنت بينهمُ ... وكن كأوسطهم فى العقل والخلق
فالناس تغفر للأشرار شرهم ... ولا تضن على الباغين بالملق
وليس تغفر للعالى فضيلته ... حتى تحوِّلها هتكا إلى مِزَق
وكلُّ فضل له حساده ، وهم ... لن يرتضوا فيه إلا ضربة العنق

عزلة لا وحدة

لست وحدى ، ما دام عقلى يناجيـــــنىَ — فى عزلتى — بسر الوجود
ـــاربا فى حمى الطبيعـة ، أَستقـــصى مساتيرهـــا بقلب ودود
أو أرى النـــاس بين ماضٍ وآت لنحوس حظوظهـــم وسـعود
أو أرانى وقد وَعت نفسىَ الـكو ن ، فصرنا كونا بغـير حـدود

شيرة خليفة

أرانى - وإن كان التواضعُ شيمتى - على شمم ، شـأن الملوك الأكابر
كأَنىَ — بين الراشدين — خليفةٌ لعهـد نبىٍّ ، تِبْعُـه فى المـآثر
له زِىُّ صعلوكٍ ، وقلبُ مُمَـلَّكٍ حريص على حاَلَيْـه بين المخاطر
يرى الله فى شتىَّ مساعيه ، أينما توجه وجهاً ، لا تـقِّاء المعـائر

الأمهات والبنات

لو أمّهـاتُكمُ كـرائمُ سرّكم َمثلى البنـاتُ ، وإن ملأْنَ الدارا
عارٌ على الإنســـانِ فى أنْسابهِ من لا يرى فيهنَّ إلا العــارا
هنَّ البواعث فى النفوسِ لبرِّها والعــامرات حياتنـــا أعْمارا
ليس ابن أمّ - فى النساء - كريمةٍ من لا يُغــالى بالبنــات جِهارا

اختلاف أصيل

إن تـكونوا ناساً فلست بإنسا ن ، وإن كنتـُه فلستمُ بناس
نحنُ شتى فى الطبع والعقل مهما يك فى الخلقِ بيننا من جناس
أنخانت حـــواء آدم إذ جئـــتم فبؤتم ، بخســـة النسناس ؟
أم سـبته نسنانة ، والهوى طا غٍ ، فتهنا فى زحمة الأجناس ؟

ابن الكريمة

من تكن أمُّهُ كريمة قومٍ يتمنَّ البنـات كالأبناءِ
ويُغالى بهنَّ بين الدرَّارى ويغالى بعُرسه فى النساء
ويعزُّ النساء طرا، وإن أخطأن، أوساءهنَّ غدرُ القضاء
أمُّهُ شافعٌ لهنَّ جميعاً حين يعْدمْن سائراً الشُّفَعاءِ

العدوان بالعدوان

لاتحْنِ رأسَك إن بليت بظالم بل قابل العدوان بالعُدوان
واحشد له ما تستطيع من القوى وانهض لتَسحقَه بغير توان
ما فى محاسنة المظالم مخرج منها، ولا فى الصمت والإذعان
إن لم يرد الظلمَ ظلمٌ مثله فسبيله الإمعان فى الطغيان

أول العلم

أيكفيك أن تلغو بأخبار من مضوا وأسفارهم كيما يُظنَّ بك العلم ؟
وهاهى ذى أحداث عصرك عُمِّيت عليك، وأهلوها على قربهم عُمُّوا
إذا جهل الإنسانُ أحوال عصره وأهليه — لم يسلم له أبدا حكم
فمن شاء علما فلْيَعِ الناس حوله وعالَمَهُ كى يستقيم له الفهمُ

حسبى من الدنيا

حسبى من الدنيا بما حفَلت قُوتى، وملحفةٌ تغطينى
ما ليس عندى ليس ما يلزمنى وقليلُ ما بيدىَّ يكفينى
وعُلاىَ أنى ليس يملكُنى شىءٌ، وأنى سالمُ الدِّين
إنى لأ نظرُ للملوك بإشفاقِ الثرىِّ على المساكين

متاعب الكهولة

خمسةٌ بعد أربعين من الأعوام مرَّت كأنها أحلام
ما أراها قد غيَّرت فيَّ شيئاً منذ أن كنتُ والشبابُ عرامُ[1]
غير خوفي أن أزهد الغيد بعد الخوف من أن يزهدني إذ أضامُ
هيكلي لم يزلْ، ولكن أنفاسي وكبْدي دبت بها الأسقام

عُوذة أو حلية[2]

ما أحيلى الصليبَ يرتجُّ في صدرك بين النهدين تيها وكبرا
أسكرتْه خمرُ الشباب التي تنطف من عطفتيك: يُمنى ويُسرى[3]
إذ تسيرين، والنواظر رهنٌ بخطاك الخفاف، يحدثن أمرا
لم تشائيه عوذةً لفداءٍ فانجلى حيلة، فأغوى وأغرى[4]

غثيان

من جرَّب الناسَ والحياة، كما جربتُهمْ، عافَهُمْ إلى الأبد
وهان في نفسهم شقاؤُهُمُ فلم يُرِقْ دمعةً على أحد
من يَسْعَ في خيرهم يَمُتْ كمدا إذ ليس يلقى منهمْ سوى النكد
ومن يخادعهم ليُشقِيَهم ويقْسُ يُعبَدْ كالواحد الصمد

---

(١) العرام : الشدة والحدة ، وهذا وصف بالمصدر .

(٢) تتخذ المرأة من كل شيء ـ حتى الضرورات ـ حلية وزينة ، ومن ذلك المسيحيات مثلا حين يحملن الصليب ـ رمز الفداء المسيحي ـ ويدلينه من قلائد على الصدر ، ليتعوذن به ويتبركن وكذلك تتخذ المسلمات شكل المصحف القرآني أو الهلال وكل منهما رمز الاسلام ، فكل واحد منها ينقلب زينة عندهن ، حتى الاحزان يتخذن منها وسيلة للمباهاة والزهو والادلال ، وهن في المآتم أحرص الخلق على زي الحداد ولكنهن يفصلنه في شكل يجذب العيون ، ويثير الشجون ، ولا يتركن زينتهن في اى محنة .

(٣) تنطف : تسيل .

(٤) العودة : مايتعوذ به ، او يحتمى خشية السوء . وانجلى : ظهر : اى بدا حلية لا عوذة .

محنة العجز

شر ما فى الحيـــاة أنى فيها — كلَّ حينٍ — مُهدَّدٌ بالفناء
وشقائى المذل بالعجز عن إســـماد جنسى كى يسعدوا بالبقاء
كلـهم بائس فقير ، وكفـًّا ىَ خَـــلاء من وفرة وثراء
ورزايا الأقدار فوق احتمال النـــاس ، حتى الأبطال والحـكماء

غربة العظيم

قضى الغريبُ بأرض ، ما ألمّ بهـــا — من قبل — يوما، وما أهلوه أهليها (١)
لم يعرفوا منـــه إلا اسم عناه أب لم يَدْرِ أىّ المعالى سوف يحويها (٢)
أضاء من حـــوله الدنيا ، وخلّـفها إلى التراب ترابا ضـــائعا فيهـــا
كذاك كل عظيم فى الأنام قضى فردا ، وإن أوسعوه — بعد — تأليها (٣)

قلب مقسم

أرانى إذا عاشرتُ قوما ودِدْتهم وموطـنَهم ، حتى كأنَّهمُ أهلى
وأرحلُ عنهم ـ رغبةَ الرزق ـ آسفًا لفُـرقتهم ، مستوحشا ، تائهَ العقل
وتعرُكنى ـ بين المواطن ـ حاجتى إلى الرزق ، حتى لا أقِرّ على سهْـل
فقلبىَ ما بين البـــلاد مُقسَّمٌ رَهينٌ ذويها من صديقٍ أولى الفضل (٤)

---

(١) قضى : مات : الم بالشىء : قاربه فى خفة وسرعة .

(٢) معظم الناس لا يعرفون من العظيم الا اسمه ، فيرددونه دون تقدير صحيح لعظمة صاحبه ، والاب نفسه حين يسمى ابنه العظيم باسم لا يعرف شيئا من مستقبله .

(٣) كل عظيم يظل دائم الشعور بوحدته ، لانه لا يأنس الا بمن يكافئه ، وهؤلاء ندرة ، وقد لا يوجدون ، فهو منفى طول حياته ، والناس لا يزيلون كآبته فى وحدته ، وان قدروه حق قدره بعد موته .

(٤) تعركنى : تضغطنى ، رهين : حبيس مقيد . الصديق : تطلق على الواحد والمثنى والجمع مذكرا او مؤنثا .

لهْفَ نفسى، زُوِّجْن كُرْهاً، وأنْجبْنَ، ولكن ما زِلن بَعْدُ عذارى
قد عرفنَ الزواجَ لمسَ جسوم مثلما تمَسُّ الحجارُ الحجارا
ليس فيه رِئٌ لروُحٍ، ولا جِسْم، وإن جادَ بالذرارى كثارا[1]
كل زوجٍ لم تعرفِ الحبَّ ـ عَذراءُ، وإن زُوِّجتْ رجالاً مِرارا[2]

منزلة الشمس [3]

باشمس، هنتِ، وكنت قبلُ مليكة الدنيَا، وأماً للكواكب أجمعا
اليوم صرت نُجيمةً فى مجمع بين المجامع، لو فُقدتِ لما وعى
فيه عمالق، لو وقعت بحفرة فى بعضها لم يدر منك الموقعا
فإلام يمرح حولك الإنسان فى أوهامه، متطا ولا مترفعا ؟

الحب الغَرير

لا تقولى: « سلوتنى مذ تفرقنا » فحبى كالنار تحت الرماد
فرّقَتْ بيننا السنينُ، فزادتنى وقارا، ولم يَزَلْ فى اتقاد
قد جرى فى دمى فتىً، منذ أشعَلتِ لظاه ـ عن خِبْرة ـ فى فؤادى
كنت أدْرَى منى، فمازلت بى كالنوم، حتى ملكت لطْفاً قيادى

(١) جاء بالشيء : تفضل به ، أو أتى به جيدا ، والمعنيان هنا مناسبان .
(٢) مرارا جمع مرة ، أو جمع مرير (مثل كبار وكبير) ومعناه القوى ، والمرة : القوة .
(٣) كان يتوهم قديما أن الشمس أكبر الاجرام السموية ، فظهر ان هناك اجراما عمالقة أكبر منها أضعافا مضاعفة حتى أن الشمس لو وقعت فى حفرة من حفر واحد لم تسدها ، وظهر أن هناك مجرات أو مجاميع كثيرة لا مجرة واحدة .

جارة سليطة

ما للغريبة ـ ردّ الله غربتها ـ ... تروعنا كل يوم بالأعاجيب

فى كل يوم لها فى حيّها قصصٌ ... تروى فضائحها شتى الأساليب

لا زوجها آمن مما تكيد ، ولا ... جيرانُها ، حين تغلو فى الألاعيب

أفعى من الرقش لا تنبو مضاربها ... وسمها ناقع جم الشّآبيب[1]

حياة واحدة

« أتريدُ الحياة بعد الممات ؟ » ... « لا ، ولو كان فى الجنان حياتى

كيف نرضى ، ونحن نشعر بالنقص ، ... وندرى الكمالَ غيرمواتِ[2]

ماعلونا شبرا بلا عنتٍ ـ قطُّ ... مُلِحٍّ يستنفد العزمات

أوْ بلغنا أفقا ، ولم يسبنا ما ... فوقه بالجمال والطيبات

سجّيرتى

يا لكِ — الويل يا سُجَيِّرة التبغ — ... تعبّدتنى كأشقى العُناة[3]

ولى الويلُ ، إذ تخاذلتُ فى هجرك ، ... حتى نغّصتِ صفو حياتى

صنْتُ نفسى عن كل شهوةِ سوءٍ ... أتعبتنى — إلّاك فى الشهوات

لى كثيرٌ من العُداة ، ولكن ... ليس بُغضى سواك بين عُداتى[4]

---

(١) الرقش واحدها رقشاء وارقش : فيها نقط تخالف جلدها ، لا تنبو مضاربها : لا تخطىء ضرباتها او لا تخطىء اللواقع فى ضربها . جم : كثير ، الشآبيب : واحدها : شؤبوب وهو الدفقة من اى سائل .

(٢) اى كيف يتحقق الرضا ولو فى الجنة مع وجود الوعى : فنحن هناك سنكون ناقصين، فاذا شعرنا بحاجتنا الى الكمال ولم نبلغه وقعنا فى الالم ، واذا كنا لا نشعر بهذه الحاجة فنحن فى اقل من وعينا الدنيوى ، وفى ذلك ما فيه .

(٣) السجارة فى لغتها الاصيلة هى السجار الصغير من التبغ ونحوه ، والشاعر يدخن نوعا دقيقا كالخيط ، تعبده : جعله عبدا . العناة : مفرده عان وهو الاسير .

(٤) البغض : البغيض ، والوصف بالمصدر جائز شائع .

ابن النبى

لستُ بابنِ النبى ، مادمتُ لا أنهجُ فى الخير نهجَه عن يقين
أشرفُ العالمين نفساً ، وأوفا هُمْ كمالاً على توالى السنين
حجةُ اللهِ فى قبولِ الكمالا تِ لِمَنْ كان نسلَ ماءٍ وطين (١)
يتحدى بها الملائك والجنَّ وإن ناطها بماء مهين (٢)

مواريث

ورثت تقى أبى ، وخيال جدى وحشمة جدتى وعزوفَ أمى (٣)
وكم خلقٍ ورِثتُ مدى عصور عن الأسلاف من حُومٍ وأدم
مناشىء – منذ كان الخلق – جاشت فليس يحدُّها ظنى ووهمى
وما يعفى أمرأ إرثٌ غذاه – إذا ما دين – من مدح وذم

الغاية لا تبرر الوسيلة

عرفت الضرورات ، لكن أرانىَ لا أعذر اللؤم فيما احترم
ولست أصدق أن كريما يسيغ القبيح لِشأوِ كرم
فكل سبيل وبيلٍ – فعقبا ه شر ، وأن يولِ أشهى النعم
وقد يغفرُ العجز للخائبين ولا يغفر الجرم للمجترِم

---

(١) نبينا محمد – عليه الصلاة والسلام – دليل على مقدار ماتقبل الطبيعة البشرية من الكمال الذى يفيضه الله على خلقه ، فهو حجة الله على بشر يعتذر عن الخير بالضعف البشرى، لأن النبى بشر مثله .

(٢) كذلك النبى حجة الله على الملائكة والجن ، لانهم غير مثقلين بما يثقل البشر من ضعف، ومع ذلك يبدو النبى أفضل منهم ، ويبدو ردا كافيا عليهم اذ يتشككون فى فضيلة البشر ، ويعترضون على خلقه ، ويتهمون البشر بالفساد والضعف والعجز ، مع أن النبى من البشر وهو مولود كما ولد ويولد كل بشر من أمه وأبيه .

(٣) كان جد الشاعر لأبيه ميالا الى الفروسية وقصصها ، ومن ذلك تسمية أولاده «ابازيد» و « خليفة » و « زيدان » وهم من أبطال السيرة الهلالية المتداولة بين الجماهير ، وأما ابنه الرابع « محمد » فقد تبرك فى تسميته باسم النبى ، وهو أيضا فارس الفرسان فوق انه سيد البشر .

(٤) وكانت جدة الشاعر لأمه تركية بيضاء جميلة فزاد ذلك من احتشامها ، ونساء قريتها والقرية المجاورة يلتزمن التحشم حتى الآن .

العادات ادواء

عدوا هَناتك ، واستغشوا ثيابَهمُ ... عن الكبائر يأتيها الأخساء(١)

لو عُوِّدوا منك أن تأتى الكبائر ما ... عدُّوا هَناتك تشهيراً ، كما شاءوا

والناسُ يستوحشون العتب من يطلٍ ... لم يأنسوا منه إلا الحلمَ ، إن ساءوا

لكنهم يصفِرون الجَلْدَ من أثرٍ ... تعوّد القتلَ ، والعاداتُ أدواء(٢)

الغرام عامّا وخاصّا

لا أبالى بأن تكونى حَصاناً ... أو هَلوكا ، مادام قلبُك سهلا(٣)

فلْتكونى أحلى النساءِ ، وأصفا ... هن نفسا ، وأكملَ الناس عقلا

ولْتمدِّى يد المعونة للخلْق جميعا ، ولْتملئى الكونَ فضلا

لست أرضى بمنزل ليس لى وحدى ، وإن كان جنّةَ الخلدِ حلاّ(٤)

قصاص الغرام

لا تطلُبى منّى الوفاءَ ، ولم تفى ... فالبخْسُ عدلا حسْبُ كل مطفف(٥)

من كان يُخْسِر إذ يَكيلُ ، فغَشَّهُ ... شارٍ ، فليسَ إذا شكاهُ بمُنصف(٦)

فارضىْ بما أُعطيكِ من عَفوِى ، كما ... أرْضَى بما تُعطين ، دون تأفُّف

أوْلا . . . فإنكِ فى غِنىً عنِّى ، وما ... أنا — إن أبَيْتِ البذل — بالمتلهِّف

---

(١) استغشوا ثيابهم : تعمدوا الاعراض والتغافل .

(٢) البطولة : تستوجب الايثار والتضحية والكرم والاثرة تسقط الشعور بحقوق الآخرين ، ولا تلتزم واجبا .

(٣) الحصان : المرأة التى تحصن نفسها ضد الشبهات والغوايات ، والهلوك : المترامية فى الفساد .

(٤) التطفيف : النقص فى الكيل والوزن ونحوه . والبخس : النقص . والمعنى أن جزاء النقص بمثله عدل .

(٥) الحل : الموضع الذى ينزل فيه .

(٦) اذا غش البائع فى السلعة فغشه المشترى فى الثمن نوعا أو عددا ، فلن يكون البائع منصفا اذا شكاه .

خطيئة آدم

هبوا أبانا آدماً لم يتب حين عصى الله ، ولم يندم
ما دَيْنُ ذريته عندكم تبوء بالإثم ولم تأثم ؟
وكيف يمحو إثمَهُمْ عنهمُ تكفيرُ من يفديهمُ بالدم
هذى متاهات يضل الحجا فيها ، وإن نفهمه لا يفهم

الشيخ والقس والحاخام

الشيخُ والقسُّ والحاخامُ قد عجزوا أن يبرئوا الناسَ من غيٍّ ومن عَمَهِ
قد خدَّروهم بأوهام ملفَّقة فأسلموهم لأهل البَغى والشرَه
وحمَّلوهم من الأعباء ما عجزوا عنه ، فأغروهمُ بالذل والسفَه
لو بصَّروهم بما فى الكون من حِكَمٍ لألزموهم بها فى الضيق والرَّفه

الحكمة الحمقاء

كنت — قِدْماً — يسرنى أيسر الغُنْمِ ، ويشقى عيشى أقلُّ الغرام
فإذا الغنم والغرام قريبان كَطَفْين هوَّما فى منام(١)
آه من حكمة ، بها صرت كالصَّخْر ، بليد الإحساس والإلهام
إن خيرا منها — وإن بغُلْها النا س جميعا — غباوةُ الأنعام

(١) الغرام : الغرم والخسارة ، وهوم تهويما : تحرك فى خفة وضعف وفتور .

صاحب الحق

الحق أضيعُ شيء فى الحياة يُرَى … وأبغض الخلق عند النــاس أهلوه

وكلهم يدعيه جاهــدا كــذبا … كى يستــكين له غِرٌّ ومعتوه

فاربأ بنفسك أن تُغرَى بما نصبُوا … من الفِخَاخ، فمن أغرَوْهُ غَلوهُ[1]

وصاحب الحق من يشـقى بدعوته … لامن نجا وطغى حتى ارتوى فُوهُ[2]

الضحية والشهيد

أ كلمــا ســحق الطغيانُ زِعنفةً … منكمْ لطمتم ونُحتم دون ماخجل :[3]

« ياللشــهيد ، لترفع فوقه نُصبــاً … يدوم ذكرى لهـذا المصلح البطل »

لِتَسـألوا : « مقبلا أو مدبرا نزفت … دماؤه ؟ » تهتدُوا للحق والدَّجل

إنَّ الضحية نذلٌ قُدَّ من دُبُرٍ … بينَا الشهيدُ شجاعٌ قُدَّ من قُبُـل

الحرب داء قديم

أيُزعِجُـكم أن تنشِبَ الحربُ بينكم … فهل كان رِجيلُ سادَةُ قبلكم سِلْمُ

هى الحربُ لاتحلو الحياة بغيرها … لـكم ، كيف كان الغرمُ فيها أوالغنم

كأنــكم لم تُخلقُوا لمهمَّة … سواها، وإن ضمَّت قاصيَكم رِحْمُ

ألم يفترس هابيلُ قابيلَ شِقَّهُ … وماصدَّه عن قتله الأب والأم[4]

---

(١) اربأ بنفسك : ارتفع بها أ غلوه : قيدوه ، والغل : القيد .

(٣) الحق عبء على صاحبه المؤمن به ، فهو يشقى من أجله ، وهو يسعى فيه لراحة الاخرين ، ولكن من يدعى الحق زورا لا يعرض نفسه لاذى من أجله ، بل يحرص على ادعائه ليدين الناس به ، ولا يدين نفسه ، ويجنى من ادعائه الغنائم حتى يعلو ويثرى .

(٢) الزعنفة : فضلة ظاهرة على بدن السمكة ، وزعانف الناس : أرذلهم وغوغاؤهم .

(٤) الرحم : القرابة ، ومن المأثور أن هابيل وقابيل (لو قاين كما فى التوراة) شقيقان قتل الاول الثانى غيرة منه ، ولم يراع أنه شقيقه ، وان موته يكسر نفوس أبويهما كسرة لا تجبر .

فى ثقيل

وقالوا «ثقيل» قلت «بل زاد ثقْلُهُ نخفُّ على الأصحاب والخلطاء
إذا ما رأوه أسرعوا يَفْتِلونه بغَمْزٍ فُضوحٍ ، أو بلمز بذاء (١)
كما داعبت فأراً قِطاطٌ خبيثة عدت من أمام تارةً ، ووراء ...
فدار لذُعرٍ ، مقبلا مدبرا معا إلى أن هَوَى أرضاً ، نزيف دماء

الشعر بعد شوقى وحافظ

هتف الناقدَ الدعىُّ الذى يز عم خُبْراً بالشعر والشعراء
« بعد شوقى وحافظ ، ذهب الشعرُ ، ولم يبقَ منه غيرُ هراء »
قلت : « ياسوءَ ما زعمتَ ، محا كا ةً لِحَمْقَى عيونُهم من وراء
إن فيمن أنكرت بعدَهما من ليس يرضاهما من النُّظَراء »

كيان سَوِىّ

لك الحمد — يا ربى — على أن خلقتنى سويا ، وأنَ قيَّضتَ لى أسرتى فضل
وهل كَسَواءِ النفس والجسم نعمةٌ يُتَمِّمُها من أمسها كرم الأصل (٢)
نشأت أحس الأرض دارى ، وأهلها وإن بَعُدوا فى العصر أو فى الحمى أهلى
فما فى فؤادى للبلادِ وأهلِها جميعا — سوى الإحسانِ والحب والعدل

---

(١) الغمز : الطعن بطرف دقيق ، والمراد به هنا الكشف عن المطاعن الدقيقة . واللمز : العيب : والبذاء : الشتم القبيح ، أو نداء المرء غيره بما يكرهه .

(٢) قبض الشىء : هيأه ورتبه . سواء النفس : اعتدالها وصحتها ، والسوى : المعتدل .

سيرة الجماهير

هذى الجماهير ، لما هب قادتُها   للخير هبت ، وجالت مثلَ ما جالوا
سارت إلى الخير إذ ساروا ، ولو عدلوا   عن شرعة الخير مالت مثل ما مالوا
كأنها بَبَّغاوات ، لها لُسُن   بلا عقول ، وإن قالت كما قالوا
فلا تغرنك إن ضلت وإن رشدت   فالقادة الهام منها ، وهى أذيال[1]

حُمَيِّرتى[2]

حُمَيِّرتى ، ما أنت أم لطفلها   تحنُّ ، ولا تدرين ما لوعة الحب[3]
ولو كنت أماً فارقت ، أو محبةً   لجليت ـ مهما يغل ضعفك ـ فى الركب
فإن سياط الأرض أهون منهما   لهيباً ، وهل كالوجد أهيج للقلب[4]
إذا خاب إلا الضربُ ، فلتأمنى يدى   ورجلى ، وإن أشمتِّ بى الدون من صحْبى

---

(١) الهام وأحدها هامة وهى الرأس ، والمعنى أن الجماهير فى ضلالها ورشدها تابعة لقادتها ، ولا تستقل بتفكيرها ومسئولياتها : فحيث ساروا تسير ، كما تتقدم الرأس ويتبعها الذيل بالضرورة .

(٢) الحميرة : مصغرة حمارة ، وكانت للشاعر فى أول شبابه حمارة صغيرة ، فلما استحقت الركوب ركبها لاول مرة من قريته الى مدينة قريبة ليروضها بتدريبها على الدرجان المنتظم ، ويعودها على الفة المخاطر ، حتى لا تتعب راكبها بعد ذلك أو تجفل به ، وكان يعلم من خلائق الحمير اذا اجتمعت ان يتنافس بعضها بعضا فخرج بحمارته منفردا فى ذهابه وايابه ، ولكن ـ خلال أوبته ـ لحقه ركب من الفلاحين الجفاة ، فحاولت المسكينة أن تبارى دوابهم تلقائيا ، ولكنها عجزت ، وابى هو ان يضربها او يركلها ، فلما تأخرت سخر الركب ، كأن هناك سباقا بين دوابهم ودابته ، أو اشخاصهم وشخصه .

(٣) من عادة الحمارة اذا كانت مفارقة لولدها الرضيع أن تتلكأ فى البعد عنه . ولكنها فى العودة اليه تسرع بقدر الطاقة ، حنينا اليه ، كى تدركه ، وأما الحب فهو هنا من فروض الخيال الانسانى .

(٤) المعنى : أن حرارة الامومة وحرارة الحب تهيجان من القلب فتبعثان الجسم ـ أشد مما يبعثه الضرب بالسياط مع حدتها .



بين فيصل وتيمور [١]

هذان طفلاى ، يحفَّان بى   يا غبطتى ما اكتنفانى معا
قد بدَّلاَ بُؤسِى نعيما ، فما   أعظمَ دنياىَ ، وما أمتعا
إخالنى — إن يصحبانى — فتًى   قد دانت الدنيا له أجمعا
أفراحه فى قلبه غَضَّةٌ   وإن دعا شيئاً أتى مسرعا

(١) التقطت هذه الصورة فى ربيع سنة ١٩٥٠ فى حدائق القناطر الخيرية (شمالى القاهرة)، خلال رحلة مدرسية ، والطفلان يرتديان الزى المدرسى لروضة الاطفال التى كانا يتعلمان فيها .

فى صحبة فيصل وتيمور

صَبِيَّىَّ ، قد أصبيتمانى ، ولم يكن ليفعشَنى حتى الصِّبا ، لو يردُّ لى

وجدَّدتُمـا الدنيا بقلبى ، فأنجلت مفاتنُها لى غير ذات تبذُّل

فبينكما — أيانَ سِرتُ — إخالنى أطيرُ كصَقْر يعتلى ثم يعتلى

أحسُّ بأعضائى تَخِفُّ ، ومهجتى ترفُّ رفيفَ النور يَجْلو ويجتلى .

مع سوفيا غدا

إنْ أعشْ — يابنيَّتى — لك لم يُحْصِنْكِ إلا من كان كالخلفاء

هَمُّ مَلْكٍ ، وإن يكن غيرَ مثْرٍ ذُو وفاءٍ وحكمة وحياء(1)

يتقى الله حين يرضى ، وإذا يَغْضبُ ، عفَّ البأساء والنعماء

قد نَماهُ للمكرماتِ كريما ن ، فجَلىَّ كأهله الكرماءِ

عبقرية أفرين

إن أصدق بعبقريَّةِ حوَّا ء — فليست سوى ابنتى «أفرين»

كلما قدتها لمنهج فكرٍ سبقتْنى إليه سبق أمين

ما تأبىَّ وعزّ عليها من الفِكر ولا عزَّ أى حِصن مكين

وهْىَ تبدو كأنها ملْكةُ الدنيا ، اعتزازًا بنفسها عن يقين

المسئولية الفردية

عفا اللهُ عنكَ ، أتحسب أنىَ أجهلُ قدرى ، ليرضَى الطغام

إذا أنا لم أحْمِ نفسى ، وأعرفْ لها حقَّها فى زحامِ الأنام —

فأين الملاك من الناس يحمى حماها ، ويكرمُها فى سلام ؟

رضا الخلق أهونُ شىء علىَّ إذا لم أنلْ فيهم الاحترام

(1) الهم : الهمة والعزم .

مكانة أفرين

من كأفرين - رَبةَ الخير - أختى أوتيت عبقرِيةً وخَلاقا(1)

زانها فى لِداتها وذويها لُطفُ رُوحٍ أحالَهم أُعشّاقا

من رآها أحبها ، وتمنى مثلَها منه ، إن زكا أخلاقا (2)

أو تمنى هلاكها حسداً منه ولؤماً، إن ساء نفسا، فماقا (3)

إلف لازم

صاحبتى ، ليست بنا حاجةٌ لسدٍّ طرفى دونَ باقى النساءْ

أدرى مزاياهن ، لكننى أدرى مزاياكِ الحسان الوضاء

وبيننا من دمنا أنفسٌ مالى سواهم غبطةٌ أو رجاء

وما لهم دونك من نعمة فأنتِ إلْفٌ ليس عنه غَناء

أبى وأمى(4)

أبى وأمىَ لا أرضى بغيرهما أباً وأماً ، بما برَّا وما عظما

كانا هوى النفس فى أزكى رغائبها إن تحسنِ السُّؤْل عما يوجب العِظَما

قد شاء جدّى لوْ نجداً يكون أبى فكانه، واقتَدَتْ أمىّ به كرما(5)

عاشا حليفَى تُقىً لله ، فى دعةٍ وعزة ، أخوَىْ بِرٍّ معا نُظما

---

(1) أفرين كلمة تعنى أحيانا « ربة الخير » والخلاق : الخلق العظيم ، أو الخير الكثير .

(2) اللدات الانسان : من يولدون معه ، وأحدها : لدة ، للمذكر والمؤنث .

(3) ماق يموق موقا (على وزن مات) حمق حماقة .

(4) نظمت بعد قراءة كلمة منسوبة لعبد الملك بن مروان : « ما وددت أن يلدنى غير أبى أحد من العرب الا عروة بن الورد » وكان هذا يلقب عروة الصعاليك لانه كان يجمع الصعاليك ليغير على الاثرياء ويطعم من غنائمه المحتاجين .

(5) لو يكون أبى نجدا ، والنجد : من يخف للنجدة عند الحاجة .

أين فيصل ؟[1]

قد تنادوا ، ليلعبوا كرة الرجل ، ونادوا ، فلم يلب وليدى

« فيصل ليس هاهنا — صبية القبة — إنى خلفته فى الصعيد »

« ومتى عوده ؟ » ... « متى ؟ لست أدرى يا صغارى » ، فامضوا لشوط سعيد »

وتهاوى أب على الأرض كالميت ، لميت ثوى بقبر بعيد

قبل فيصل وبعده

قد عشت عمراً بأهلى لا يؤرقنى همٌّ سوى ما يهيج العزم إن خمدا

حتى فجعت ببكرى فيصل ، فإذا عيشى عذاب يغول الروح والجسدا

تروعنى يقظاً أطيافه ، وإذا نمت أزعجن نومى بالرؤى شردا

ياليته لم يكن يوم ولدت به وليت لم أتخذ زوجاً ولا ولداً .

بين الأبوين والابن

بنفسى أنت ، لا بأبى وأمى وإن تك أنت لصق بالفؤاد

أرى أبوىّ أعلى منك قدرا وأجدر بالتجلة فى ودادى

دفنتهما فصرت بلا جذور لأحطب ثم أحرق للرماد

فلما أن دفنتك هان عندى جميع الكون من خاف وباد

---

(1) كان الصبى رئيس فريق كرة القدم من صبيان الحى (كوبرى القبة من ضواحى القاهرة) ، وسافر مع اسرته الى قريتهم (تونس) فى الصعيد لقضاء العطلة المدرسية الصيفية فى العائلة الكبرى ، وفى أخرياتها مات ودفن فى القرية ، وعادت الاسرة من رحلتها بغيره ، فلما سمع صبيان الفريق بعودتها — ولم يكونوا يعلمون وفاته — جاءوا يتصايحون أمام البيت ، وينادون باسمه ليشاركهم فى اللعب ، فلما طرقوا الباب خرج اليهم الشاعر فجرى بينهم وبينه هذا الحوار الذى تومىء اليه الرباعية ، ولم يشأ أن يصارحهم بوفاته ، لثقل ذلك على لسانه ، ولئلا يحزن قلوبهم الصغيرة .

فيصلُ ، لو أن لنــا ملتقىً بعدَ فراق الموت — هان العزاءْ
لكنَّ هذا الكونَ طرا — وإن مُدَّ له فى العمر — رهنُ الفناء
ياليتنـا لم نكُ شــيئا به فما سوى الله لِحَىّ بقــاءْ
أو ليتَ نقضى فــترة ثم نحــيا فــترة ، دَوْراً بغــير انتهاء

موضع اللوم

لا تَمى أنتَ ،أن جزِعتُ لفقد ابــنى ، وقد هاضنى وأنْقَضَ ظهرى(1)
وأنــا لا ألوم نفسِىَ إلا أننى بعده ألوذ بصـــبرى
محنتى فيــه محنةٌ ، ينقضى العمْــرُ ولاتنقضى ، وإن طال عمرى
كيف سلوایَ ، أو عزائى وقلبى بعده جفَّ كالصفاة بصدرى

مصارع الأعزاء

أبعدالأولى بـوّأْتهم بيدىالثرى أرانى بغُنمٍ ، آخر الدهر ، أسعدُ
أخى ، ثم أمى، ثم شيخى، وبعده فتاىَ الذى قد كنتُ للمجدأرصُدُ
مضَوْا فى سبيل لم يعد منه ذاهب وكيفَ؟ ومن يهلك فهُلكُ مؤبد
ولو كنتُ أرجو أن ألاقيَهم غداً شفى بعض وجدى،إثرهم،ذلك الغد

---

(1) هاض العظم : كسره : وانقض ظهره : أتعبه وهده .

شر العزاء

لا تقلب نيران حزنى ، فتزدا د ضراما ، أم أنت تبغى شقائى ؟

ليس يشفى إظهارُك الحزنَ من حز نى ، ولكن فى الصمت بعضُ شفائى

إن أغنى العزاء ما جمع النفـ ـسين بالصمت ، عند وقع البلاء

ذاك ، أولاَ ...، فإن تذكير مرزو ء بأرزائه لشرُّ العـزاء

إهداء الفيصليات[1]

إلى ابنى الذى أوهى كيانِىَ ثُكله وأورثنى غمًّا مـدى العمر باقيا

وزهّدنى فى العيش ، حتى ودِدتنى رهين الثرى ، لولا صغارى ورائيا

وما لليتـامى قيِّمٌ بأبيهم سوى من يُريهم فى النهار الدياجيا[2]

وينهبُ من أفواههم كل لقمة ويَحْرِبهم حرب الأعادى الأعاديا

أمى

أجلْ ، إنها فى الأمهات لفذّةٌ بما أسهمتْ فى البر والخُلُق العالى

فإن تغْلُ فى قلبى وعقلى فحقُّها وما كلُّ أمٍّ حظُّها فى ابنها غالِ[3]

ولو أن كلَّ الأمهات مِثالَها زَاهونا بان ندعى لهنٍّ من الآل[4]

وما كان شيخى دونها فى فضيلةٍ ولكنها فيهن آيةُ تمثـالِ

---

(١) الفيصليات اسم ديوان من نظم الشاعر ، وفى هذه الرباعية اهداؤه ، والفيصليات منسوبة الى « فيصل » وهو بكر الشاعر ، وقد سمى الديوان كذلك ليكون ذكرى لفيصل بعد وفاته .

(٢) القيم : الوصى . وبأبيهم : بدل أبيهم .

(٣) ليست كل أم بذات حظ عظيم فى نفس ابنها وخلائقه وسيرته .

(٤) أى لو كانت الامهات تشبهها لانتسب اليهم أبناؤهم فى زهو ، مثل انتسابهم الى الآباء كالعدة الشائعة اليوم .

بين الحب والتذمم

زعمتْني أحبها ، إذ رأتْني صادقَ العهدِ ، حافظاً تبعاتي
عميتْ ـ فيا كتها لهاـ أو تعامَتْ عن وصالي لها بلا حرُقات
انظري، لا نظرت ، شتان بين الـحب يكوى ، ورعية الحرمات
كل قلبٍ للحبِّ ،لكنَّ مَن يرْ عى ذِماماً كأندر المعجزات(١)

تقدير عادل

أأكبرُ من لا أرتضيه خويدماً لبابي ، وإن حاطتْه أبهى المواكب
خسِرتُ ـ إذنْ ـ عقلي وخُلْقي وخبرتي وما الله أصفاني به من مواهب
إذا أنا لم أعرفْ لكلٍّ مَقامَه لأجزَى كلاً حقَّه غير هائب
فأحقِرَ ذا لؤم ، وأكرمَ فاضلا ـفلا كنتُ ،أو كانت حياةُ لكاسب

حنان لا عشق

أأعشَقُ مَنْ هيَ في عمرِ بنتي؟ إذن ، فأنا الخاسِرُ الظالمُ
معاذَ الأبوَّة تعمر قلبي ، وقلبي ـ بِغبطتها ـ سالم
وفيه لكلِّ الصغار مراحٌ كأطهرِ مايحلُم الحالمُ(١)
وما أنا أجهلُ خدْعَ النفوسِ فإني بأسرارها عالِمُ

---

(١) الذمام : الذمة ومناط الواجب في ضمير الانسان .
(٢) المراح : مكان المرح أو الراحة .

الناى

أيها الناى ، أنت خلىّ الذى يبـــكى لشجوى ، إذا بلاء شجانى
كم معانٍ تجول فى ظلمات الصـــــدر حيْرَى عزّت على تبيانى
أنت أرشدتَها السبيل فسارت فى هداها طليقة فى البيان
ليس للوحى غير أنغامك الحسـنى لتفضى بسرّه الرّبّانى(١)

صديق نكد

ماذا يفيدك سفحُ الدمع خافَ أخٍ عقّ الودادَ ، فلما صُنتَه كفرا
أصفيته ـ ترتجى إصلاحه زمنا ـ ودّ الشقيق، ولم تحفِلْ بأن غدَرا
لأنت أفسدتَه لما غفرتَ له ذنوبَه ، فطغى ،واستعذب البطرا
ومال عنك إلى من ليس يرحمه إذا التوى عنه ، أو يرعاه إن عثرا

سيادة وسيادة

قنعتَ من الدنيا بكتبٍ وصِبْيةٍ وجُدْت تواليفى بأغلى مواهبى(١)
ولو أن أسبابى تقوم بهمتى لنافست فى الأفلاك أعلى الكواكب
ومن يك مثلى همةً لا يَجِدْله مقامَ رضاً إلا أعزّ المناصب
وإلاّ يَلُذْ بالزهد ضنّاً بقدره انصر محق ، أو لتفنيد كاذب

---

(١) ليس كالموسيقى فن يعبر عن المعانى ولا سيما العليا .
(٢) جاده بالشىء : تفضل به عليه ، وجاده : جعله جيداً ، والمعنيان صالحان .

جناية حضارة

هل غنمتم من الحضارة إلا   طاعة الحاكمين من كل جنس

وليانا فى ظاهر الفعل والقو   ل، كلين الحيات عند المجس

وجمودا فى الخلق والعقل يأبى ال   عزم والفهم عند جد وبأس

وغلوا مع النفاق إلى أقصى   مداه، وإن دها كم بنحس

من السكران ؟

تسكر الخمر من يعاقرها، لا   من يراها أو من يشم شذاها(1)

هكذا مثلها الحقائق فى الكو   ن، ابتغى المرء كنهها أو جفاها

فليقل ما حلا لهم راصدوها   كيفما كان خبطهم فى دجاها

عارفوها عشاقها من بنى عبقر،   ذاقوا، فاستشهدوا فى هواها

غنى أحاديث حب

غنى، غنى أحاديث حب   كان دنياى كلها يوم كانا

غنى ما غنيت فيه من الشعر،   ليزداد فى فؤادى بيانا

ما ذكرنا رؤاه إلا بكينا   ه، وزدنا إحسانه إحسانا

أين — لا أين — ذلك العهد يحيى ال   عزم منى، ويبعث الإيمانا

---

(1) المعنى هنا :ن الخمر لاتسكر الا شاربها ، فمن لم يتذوقها لايسكر ، وكذلك حقائق الكون لابد من ذوقها مباشرة ليعيها الانسان ، ويدرك اسرار جمالها ، وسحرها ، ولايتهيأ ذلك الا للعباقرة واما من يرصدون هذه الحقائق من بعيد ، فيعددون مظاهرها ، ويضربون بين فروضها كما يفعل بعض العلماء والفلاسفة — فانهم لايحيطون بها خبرا ، ولا يقدرونها حق قدرها مهما يبلغوا من شهرة النبوغ والمعرفة ، ومثل هؤلاء ومن دونهم كمثل زارع الكرمة التى تصنع من عناقيدها الخمر، ومثل جامع العناقيد ومثل عاصرها للتخمير وبائعها وشاربها ونحوهم ، فهم لايسكرون من ذلك لانهم لايذوقونها بكفاية .

الكرْمة

كرْمتي ، هذه عناقيدك الزهـــر تدلَّتْ من فرط مِيلٍ ونضج(١)

أشرقت للفؤاد تجذبُه حسـنا ، وتسبي عينىَّ من كل فج

ولقد حان لى اقتطاف دوَالِيـك ، نخورا بأن تبوأتِ مرجى

حاجتى أنت من حياتى، فلتُصْـغى لشدوى، وارضَىْ صلاتى وحجى

هرم خوفو(٢)

لاَيرحمِ اللهُ أجداداً لنا ، خنعوا	لظلم خوفو ، فأعـلَوْا قبرَه هرماً
عشرين عاما من التسخير سامهمُ	سوءَ العذاب ، ولم يرقُبْ لهم ذِمما
سياطُ أجناده تفْرى جلودَهمُ	ولاشكاةَ لهمُ حتى هوَوْا رِمَما
ولو أَبوْا أن يَذِلوا ما استهان بهمْ	لـكنهم قلَّدوه الخُلدَ إذْ ظلما

---

(١) الكرمة : شجرة العنب ، وهى هنا رمز .

(٢) نظمت هذه الرباعية سنة ١٩٤٧ عقب مشاهدة فلم فى إحدى السينمات بالقاهرة ، والفلم يصور طريقة بناء الهرم ، إذ كانت تجلب له الصخور النارية الضخمة من جبال اسوان فى اقصى جنوبى مصر ، فكانت بعد قطعها تجربالجبال من محاجرها الى النيل برا ، ثم تحملها السفن الى صحراء الجيزة ، فتجر الى ربوة عالية حتى توضع فى مكانها من البناء ، وقد ظهر فى الفلم آلاف الفلاحين الأشقياء وهم يشدون عشرات الحبال لجر كل صخرة على الارض ، كى تتحرك فى البر على جزوع النخيل والأشجار ، حتى يسهل جرها ، وفى الفلم ظهر الزبانية من جند خوفو ، وهم يجلدون العملة المساكين بالسياط لأدنى سبب وبدون سبب ، وكانوا يوالون جلدهم حتى بعد أن تسيل منهم الدماء ، والجثث تتساقط دامية أمام الحجارة من أعياء وضرب وجوع ، أو تنزلق تحت الحجارة فتسحق دون رحمة ، والزبانية لايعبئون بشىء غير ارضاء ضراوتهم فى امام العمل ، ولا تتحرك قلوبهم رحمة مع كثرة الضحايا عشرات ومئات . وقد اقتضى بناء هـذا الهرم عشرين عاما . وقد هاج الفلم بفظائعه الشاعر فخرج من السينما قبل تمامه .

الشيخ أحمد حمزة

فرِحنا بعَودِ «الشيخ أحمدَ حمزةٍ»   إلى شيخِنا «العقادِ» بعد سنينِ
فتاهُ وطاهيهِ ثلاثين حِجّةً   لفضلٍ له بين الطُّهاةِ مُبينِ
وَفِيٌّ لمولاه، ضَنينٌ بِسِرِّه   أمينٌ، سليمُ الصدر، صاحبُ دِين
له سهوات ما تَغِبُّ، وزهوةٌ   كما يَمْسَخُ الأسماءَ مَسْخَ هَجين (١)

(١) ماتغب: ماتفتر أو تتراخى وقتا بعد وقت: وكان الشيخ احمد كثير السهوات، وبعض هذه السهوات مما يضيق صدر الحليم.

ونذكر انه كان لأستاذنا الكبير «عباس العقاد» — رحمه الله — ندوة اسبوعية تعقد في بيته غداة كل جمعة، وفي احدى ندواته أنشدت هذه الرباعية بين روادها، اعلانا لبهجتهم بعودة الشيخ أحمد حمزة الى خدمة العقاد، وكان ذلك سنة ١٩٦٠ . والشيخ أحمد رجل نوبى له ما لمعظم أبناء النوبة في أقصى صعيد مصر من امانة واخلاص وتدين وسلامة صدر ونحو ذلك من شمائلهم الكريمة المأثورة، ولهذا يكثر استخدام عامتهم بوابين في المدن وخدما في البيوت والنوادى، ولهم رطانة خاصة، واذا تكلموا بالعامية نطقوها مغلقة صعبة الفهم على غيرهم، ولكنهم يتفاهمون فيما بينهم بلغتهم الخاصة . دخل الشيخ في خدمة العقاد طاهيا من سنة ١٩٢٦ ثم أعفى من خدمته سنة ١٩٥٦ مدى اربع سنوات لمخالفة صغيرة لم تكن توجب اعفاءه الا يوما أو نحوه، فقد أظهر من الاخلاص والامانة وصيانة الاسرار ما يعتبر كثيرا وفوق الكثير من عامى مثله . وكان للعقاد أسرار تشترى في وقتها من الأعداء بالكثير، وكان له من الاعداء كثرة قوية بحظها من النفوذ والثراء . والكن الشيخ لم يتحدث بشيء قط من تلك الأسرار الخطيرة، لا في حياة الاستاذ ولا بعد موته .

وقد شهد الشاعر هذه المخالفة التى اقتضت اعفاء الشيخ وحاول بدالته الاعتذار عنه والاعتذار له فلم يفلح، فقد كانت غضبة الاستاذ شديدة عنيفة، وله فيها عذره بل اعذاره، اذ كان يعانى ألما حادا في عينه اليمنى عقب عملية جراحية استخرج فيها انسان العين، وكان الاستاذ فوق ذلك يخشى أن لاتسترد عينه بصرها، بل كان يخشى العمى، اذ كانت العين اليسرى مصابة بالضعف والكلال وتزداد هبوطا مع الزمن، وزاد في شكوكه أنه كان أشبه بأمه لا أبيه في البنية وطول العمر، وكانت — رحمها الله — قد أصيبت بالعمى في الشيخوخة كما اصيب بعض أخوتها بذلك في نحو هذه السن، وزاد في شجونه تذكره كثيرا لهذه الأم البارة بهذه المناسبة التعسة وكانت قد ماتت قبل ذلك بعام واحد، وكان يتهدد نفسه بالهلاك اذا لم أصيب بالعمى، وكانت أسباب هذا التهديد وجيهة يومئذ عنده، لذلك وغيره كانت بنية الاستاذ كلها مضطربة، حتى أعصابه ويقينه .

وقد شارك الشاعر في اعفاء الخادم، واغرائه أن يخرج هو وأسرته من الحجرة التى كان يسكنهم الاستاذ اياها على سطح بيته بالاجرة، وكان يتوخى في ذلك تهدئة غضب الاستاذ، وأن يبقى بينهما بقية من الود والولاء ليسهل الاعتذار والصفح، وكان يظن أن الاعفاء مؤقت لطول الخدمة ولما عليه الخادم من شمائل طيبة، والحاجة الاستاذ الشديدة اليه بعد تجربته، والقوة أخلاق الاستاذ وسرعة انابته، وقبوله اعذار الشيخ قبل ذلك فيما هو أكبر من المخالفات . =

داري المغنية

كنت قبل الزواج ، إن جئتُ داري خلتُها - من غرامها بي - تغنى
وتزوجت ، فائتلفت وزوجى فتغنت وأمعنت فى التغنى
ورُزقنا أولادنا ، فإذا دا رى غناءٌ يفيض من كلِّ رُكن
كلُّ شيءٍ فيها يُغنى ، وقلبى مُسمِعٌ لى ما لا تؤدِّيه أذنى

استقلال الوطن(١)

كوخٌ من الغاب فى صحراء ، أسكنهُ قفراً ، وأتقى كفافى فيه منفرداً ، (٢)
أعناده حينما أهوى ، وأتركه . . . — حراً ، وأُحصِنُ فيه الزوجَ والولدان (٣)
أحبُّ عندىَ من قصر يُساكنُنِى فيه غريبٌ ، يَرىَ ما لا أُرِى أحداً
مساكن الغُرب كالمبدى لعورته — فى ملتقَى الطرْقِ سالت بالورى شردا (٤)

= وحاول الشاعر مرات بعد ذلك أن يعيد الشيخ ، وألح فى الرجاء حتى يئس ، فسكت على مضض ، وبعد أربع سنوات أفلحت سيدة مقبولة الرجاء أن تعيد الخادم ، فطلب الاستاذ من الشاعر أن يعيد الخادم ، دون أن تذكر له الأسباب ، وما كان بحاجة اليها ، بل كانت همته فى عودة الشيخ الى الخدمة بأى وسيلة راضية . وكان ذلك سنة ١٩٦٠ ، وفى أول ندوة ظهر فيها الشيخ وقف الشاعر ، فأنشد هذه الرباعية ليعلن فيها بهجته وبهجة رواد الندوة بهذه العودة الحميدة ، ولم يقدر للشاعر أن ينشد شيئا آخر من شعره فى هذه الندوة مع ملازمته لها اثنتين وثلاثين سنة .

(١) رأى الشاعر أن استقلال كل أسرة ببيتها او وطنها الأصغر ألزم من استقلال الوطن الأكبر ، وقد نظمت هذه الرباعية فى أعقاب الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ ، حين نقل الشاعر من معصرة سمالوط (مدينة صغيرة فى صعيد مصر) الى القاهرة ، كما اقتضت ذلك وظيفته فى مدارس الحكومة ، وكان أزمة المساكن فى القاهرة على أشدها بسبب تعطل حركة البناء من جراء الحرب وطولها ، فبحث عن مسكن مستقل يناسب أسرته وراتبه فلم يجد غير المساكن التى يشارك فيها غيره فى حظير واحد ، واضطر أخيرا أن يدفع ثلاثة ارباع راتبه شهريا اجرة لمسكن مستقل ، وقد آثر ذلك وحمده ، لانه يأبى أن يشارك بأسرته أوجده فى مسكن ولو بأجرة يسيرة او بد اجرة .

(٢) كوخ مبتدأ والجمل التالية فى البيتين الاول صفات له ، وخبره « احب » فى أول البيت الثالث .

(٣) أتركه : اى حينما اهوى ، وقد دل على المحذوف ماقبله .

(٤) الغرب : جمع غريب ، كالطرق جمع طريق ، وقد سكنت الراء فى الكلمتين للتخفيف والضرورة ، والشرد : جمع شريد .

حفيد الظالم يفخر (١)

لا تفخَرَنَّ : « أنا حفيد فــلان　　من كان قطبا فى حمى السلطــان »

ما كان جدك غيرَ وحشٍ من كلا　　ب الصيدِ شبَّ بدولة الطغيــان

ورَمتْ به قُطعانهـــا ، ليصيدها　　زُلَفــاً ، ويأكل فضلة الشبعان (٢)

لولا أمانتــه لنصر شرورهـــا　　من لـؤْمــه ما فاز بالرضــوان

العنكبوت

من طبيعة العناكب أن الأنثى تنسج بيتها . ثم تحاول بكل وسائل الغزل إغراء صاحبها كى يرتاده ، ويلقاها فيه ، وفى لحظة اللقاء ترتد عليه ـ وهو مستغرق نشوان بلذة الوصال ـ فتقتله وتمزقه ، ولمعنى قريب من هذا أطلق لقب « العنكبوت » على المرأة المخاطبة بهذه الأبيات .»

هيه ، يا «عنــكبوت» ، إنى لأهوا　　ك ، وأخشى مصارع العشاق

وعظتنى ، فأبلغت ، والبــلايا　　واعظاتٌ بالحِـذْر والإشـفاق

ما بتغى الغافلين كى تأسريهم　　واصطفيهم من طُعْـمة الفساق

إننى ـ إن عشقت ـ أفتح عينـ　　ـىَّ اتقاء الضلال فى الأنفاق

---

(١) كثير من صنائع الظلمة وأعوانهم يظن بهم أنهم اكفاء للسيادة والحكم فى الجماعــة ، وليسوا كذلك فى شىء ، وكل غناهم فى الخدمة هو الامانة فيها لأنهم مسلوبو العزم ضعاف لارادة، ثم القدرة على الأذى لما تنطوى نفوسهم عليه من اللؤم وضراوة بالشر ، فمثلهم فى ذلك مثل كلاب الصيد ترسل على الفرائس كى تحوزها لسادتها بالعنف، وهؤلاء يأكلون خيرها ويلقون اليها بالفضلة لتأكلها ، وعلى هذا النحو تظهر وجاهة هؤلاء الاعوان فى الثراء والنفوذ . فاذا مضى الزمن بعدهم نسيت مظالمهم أو خف وقرها على النفوس ، وبقيت أصداء شهرتهم فى الاسماع ، فتتباهى بهم ذريتهم ، وكان عليها أن تخزى من سيرتهم ، ولكن هذه المباهاة تجوز على من حولهم ولا سيما حين يؤيدها بقاء الثراء والنفوذ ، وكان حقها أن تكون موضع سخر حتى تستر أمرها ، وكان من واجب هذه الذرية أن تخزى اذا ذكر اسلافها ، وحسبهم عافية أن الناس لايجازونهم شرا على ماضى أسلافهم من مظالم . وفى حفيد من هؤلاء قيلت الرباعية .

(٢) زلف : وأحدها زلفة مثل قرب وقربة وزنا ومعنى ، وهى مايتقرب به .

المعجزات

طلبوا المعجزاتُ واستقرءوها … عَنَتاً منهمُ مع الأنبياء[1]

كلُّ ما فى حياتنا معجزاتٌ … لو صدَقنا التفكير فى الأشياء

أىُّ شىءٍ فى الكون ليس عجيباً … لو رُزقنا السداد فى الآراء ؟

أىُّ شىءٍ هنا أحطنا به خُبْـ … ـراً ، سواء فى ظاهر أو خفاء ؟

خصلة فاتنة

خُصلة فاح من شباب شذاها … وحِلاها فى القلب لا تتناهى[2]

كلما ازددتَ نحوها نظراً زا … دتْك سِحراً و نَشوةً من طِلاها[3]

وإذا هزَّها النسيمُ استجاشت … فى خفايا النفوس أقصى هواها

وهفا كلُّ ناظرٍ يتملا … ها ، ويرجو من وَجْده لو حواها[4]

شكر

شكراً لتلميذى وصديق الأستاذ أحمد مرعى الذى تفضل برسم الصور هنا وشكراً لأصحاب مطبعة الاستقلال الكبرى وعمالها لتفضلهم بإنجاز هذا الديوان فى نحو أسبوع

---

(١) الفكرة هنا أن المعجزة لا تجدى مع غير المستعدين لقبولها سواء كانوا جهلة أو معاندين أو نحو ذلك ، فطلب المعجزات من الانبياء تعسف من طلابها ، وأما الآيات التى تدل على الله وصفاته فهى فى كل شىء فى الكون ، وطلب المعجزات من الانبياء غفلة الى جانب أنه تعسف لاننا لا نعلم عن الاشياء العادية حتى ظواهرها الا قليلا ، ونحن لا نحيط بشىء خبرا فى باطن ولا ظاهر.

(٢) الشذى : الرائحة . والخصلة : الشعر ، أو القليل منه ، الحلى : جمع حلية .

(٣) الطلى : الخمرة : والنشوة : ما يعقب شرب الخمر من خدر وراحة .

(٤) هفا : مال : يتملى الشىء يتمتع به ، والوجد : كل مايجده الانسان فى نفسه من المشاعر وخواطر .



الدكتور حكم توفيق أبى زهرة

